منصب إمرة العرب وأثره
في السياسة الداخلية لبلاد الشام
عصر دولة المماليك البحرية
(٦٥٨ – ٧٨٤هـ / ١٢٦٠ – ١٣٨٢م)

دكتور

حسن فرحان عبد الساتر

الأستاذ المساعد في قسم التاريخ والحضارة

في كلية اللغة العربية بأسيوط

جامعة الأزهر

منصب إمرة العرب وأثره في السياسة الداخلية في بلاد الشام عصر دولة المماليك البحرية (٦٥٨ – ٧٨٤ هـ / ١٢٦٠ – ١٣٨٢م).

حسن فرحان عبد الساتر
قسم التاريخ والحضارة في كلية اللغة العربية بأسيوط - جامعة الأزهر- مصر.
البريد الإلكتروني: Hassanattia@azhar.edu.eg

كان منصب إمرة العرب يعني الرئاسة العليا لعرب الشام ، وهو منصب رسمي يتولاه أحد زعماء القبائل العربية من قبل الأبواب السلطانية بوثيقة أو منشور رسمي ، وكان لأمراء عرب الشام العديد من الألقاب والمراتب حسب مكانتهم لدي السلطة المملوكية .

وكان هدف سلاطين دولة المماليك البحرية من إنشاء هذا المنصب ، هو ربط أمراء عرب الشام بالجهاز الاداري في الدولة ، وذلك من أجل استيعابهم وتوجيه طاقاتهم لصالحها، واثبات قدرة الدولة علي السيطرة عليهم . كما قام السلاطين بمنح أمراء العرب العديد من الإقطاعات والامتيازات المشروطة نظير مهام يكلفون بها مثل : حفظ طرق البريد والحج والتجارة ، وتزويد الدولة بما تحتاجه من الخيول الأصيلة والإبل ، والمشاركة في العمليات العسكرية ضد أعداء الدولة .

وقد استغل سلاطين دولة المماليك البحرية منصب إمرة العرب في فرض سيطرتهم علي أعراب الشام ، فكانوا يولون ويعزلون الأمراء حسب التزامات صاحب المنصب بالمهام المكلف بها .

وكان لمنصب إمرة العرب أثر في السياسة الداخلية لبلاد الشام ، تمثل في دور إيجابي، وهو قيامهم بواجباتهم المكلفين بها ، ومساعدة سلاطين المماليك في القضاء علي بعض حركات تمرد وعصيان الأمراء المماليك المنشقين عن الدولة ، فضلا عن توسطهم لدي السلاطين من أجل الإفراج عن السجناء وقضاء حوائج الناس . ودور آخر سلبي ، تمثل في الصراع بين

أعراب الشام علي هذا المنصب ، فقاموا بالعديد من حركات التمرد والعصيان، وما ترتب علي ذلك من قطع الطرق علي التجار والحجاج ، والتهديد باللجوء إلي المغول أعداء الدولة ، كما قاموا بمساندة بعض نواب الشام المتمردين الراغبين في الانفصال عن الدولة ، الأمر الذي كلف الدولة الكثير من الجهد لإخماد هذه الحركات ، وأثر علي أمنها واستقرارها .

الكلمات المفتاحية: إمرة .العرب . السياسية الداخلية . بلاد الشام .المماليك البحرية.

The position of the Arab woman and its impact on domestic politics in the Levant at the time of the Maritime Mamluk state (658 - 784 AH / 1260 - 1382 AD).

Hassan Farhan Abdul Sater
Department of History and Civilization in the Faculty of Arabic Language in Asyut - Al-Azhar University - Egypt.
Email: Hassanattia@azhar.edu.eg

Abstract: The position of the Arab presidency and its impact on domestic/internal politics in the Levant during the era of the Maritime Mamluk State (685 - 784 AH 1260 - 1382 AD).

The position of the Arab Emir means the supreme presidency of the Arabs of the Levant, and it is an official position assumed by a leader of the Arab tribes by the sultanate doors With an official document or publication, the princes of Arab al-Sham had many titles and ranks according to their position in the Mamluk authority.

The goal of the Sultans of the Maritime Mamluk state in establishing this position was to link the princes of the Arabs of the Levant to the administrative apparatus in the state, in order to control them and direct their energies in its favor, and to prove the state's ability to control them, such as preserving postal routes, pilgrimages and trade, providing the state with the thoroughbred horses and camels it needs, and participating in military operations against the enemies of the state.

The one assigned to this position had an impact on the internal politics of the Levant, represented in a positive role, which was to carry out their duties they were entrusted with, and to assist the Mamluk Sultans in eliminating some of the rebellions and disobedience of the Mamluk princes who had defected from the state, as well as their mediation with the sultans in order to release prisoners And meet people's needs. And another negative role, represented in the struggle between the Bedouins of Levant for this

position, so they carried out many rebellions and disobedience, and the consequent blocking of roads against merchants and pilgrims, and the threat of resorting to the Mongols, enemies of the state, and they also supported some of the rebel deputies who wanted to separate from The state, which cost the state a lot of effort to suppress these movements, and affected its security and stability.

Key words: Arab woman. Internal political. The Levant, the Maritime Mamluks.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلي آله وصحبه أجمعين... وبعد

فلقد عملت دولة المماليك البحرية منذ ضم بلاد الشام على ربط عرب الشام بالجهاز الإداري ، فاستحدثت منصباً إدارياً أطلقت عليه منصب " إمرة العرب " واعتبرته وظيفة رسمية يمكنها من خلاله استيعاب هؤلاء الأعراب ، وبالتالي ارضاء جانب من طموحاتهم السياسية ، كما منح سلاطين المماليك البحرية لأصحاب منصب إمرة العرب العديد من الإقطاعات والامتيازات من أجل استيعابهم وتوجيه طاقاتهم لصالحها ، وأوكلت إليهم العديد من المهام التي تتوافق مع طبيعتهم البدوية وبيئتهم الصحراوية ، وجعلوهم مسئولين عن أجزاء الطرق التي تمر في مناطقهم ٠ وقد حرص أمراء العرب على تنفيذ المهام التي أوكلها لهم المماليك في حفظ طرق التجارة حتى غدت التجارة مصدراً اقتصادياً مهماً لبلاد الشام، فضلا عن حفظ طرق الحجاج وتأمين سلامتهم خلال رحلتهم المقدسة .

كما تنبهت دولة المماليك البحرية إلى قوة أعراب الشام وحجمهم العسكري في بادية الشام الواسعة وذات الموقع الجغرافي المهم في نطاق الدولة ، فعملت على استيعابهم ضمن قوتها العسكرية ، وتزويد السلطة المملوكية بما تحتاجه من الخيل والجمال والأغنام.

فاستغلت الدولة منصب إمرة العرب لفرض سيادتها عليهم وإثبات أحقيتها في اتخاذ القرار السياسي من دون مشاركة الأعراب ، فترك هذا المنصب أثراً سلبياً ، تمثل في التنافس الشديد بين أمراء العرب علي تولي هذا المنصب ، وقاد بالتالي إلي ظهور خلافات داخلية ، والتي انتهت بحدوث التنازع الدامي بين أفراد البيت الواحد .

وكان استخدام العنف من قبل السلطة المملوكية ضد أمراء عرب الشام ، والقبض عليهم وعلى أبنائهم ، وطردهم من البلاد أحياناً ، ونقل إمرة العرب

من أمير لأمير ، قد أدي إلي انعدام الثقة بين السلاطين وأمراء العرب ، الأمر الذي وفر المناخ المناسب لأمراء عرب الشام في القيام بحركات التمرد والعصيان ، والخروج على السلطة الحاكمة ، وقد أثر ذلك علي السياسة الداخلية في بلاد الشام.

ولم يغب أمراء عرب الشام عن أحداث الساحة السياسية المملوكية في بلاد الشام ، فقد تراوحت مواقفهم بين التأييد والمعارضة لحركات التمرد والعصيان والثورات التي قام بها بعض أمراء المماليك ضد سلاطينهم .وقد بني أمراء العرب موقفهم من تلك الحركات بما لا يتعارض مع مصالحهم ، ومدي وصولهم إلي منصب الإمرة .

ورغبة في إبراز الدور الذي قام به أمراء عرب الشام في ظل دولة المماليك البحرية ومدي تأثيرهم في السياسة الداخلية لبلاد الشام جاءت هذه الدراسة بعنوان " منصب إمرة العرب وأثره في السياسة الداخلية في بلاد الشام (عصر دولة المماليك البحرية ٦٥٨ – ٧٨٤هـ / ١٢٦٠ – ١٣٨٢م) وتناولت هذه الدراسة الموضوعات الآتية :

أولاً : منصب إمرة العرب قبل عصر دولة المماليك البحرية .

ثانياً : منصب إمرة العرب في عصر دولة المماليك البحرية : تحدثت عن مفهوم منصب إمرة العرب ، وتعيين الأمراء و مراتبهم .

ثالثاً : مهام واختصاصات أمير العرب : وتتمثل في حفظ طرق المواصلات البرية مثل : طرق البريد وطرق الحج وطرق التجارة ، وكان من مهامهم أيضاً تأمين احتياجات الدولة من الخيول والجمال وغيرها ، ومشاركة أمراء العرب في تنظيمات الجيش المملوكي ، بالإضافة إلي العديد من المهام الأخرى .

رابعاً : علاقة إمراء العرب بسلاطين دولة المماليك البحرية : ذكرت فيه موقف أمراء العرب من قيام دولة المماليك البحرية ، واستغلال سلاطين دولة المماليك البحرية لمنصب إمرة العرب ، ومنحهم الإقطاعات والامتيازات ، تشجيع الدولة المملوكية لتحالفات القبائل العربية

رابعاً : دور أمراء العرب في السياسة الداخلية لبلاد الشام : ويشمل تدخل أمراء عرب الشام في سياسة الدولة ، والصراع على منصب إمرة العرب ، وتمرد وعصيان أمراء العرب ، وأخيراً موقف إمراء العرب من حركات تمرد وعصيان أمراء المماليك .

ثم ذكرت في نهاية هذا البحث خاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة . وقد اعتمدت علي العديد من المصادر الأصيلة ، والمراجع العربية والمترجمة التي أثبتها في نهاية البحث.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

دكتور/ حسن فرحان عبد الساتر عطية

أولاً : منصب إمرة العرب قبل عصر دولة المماليك البحرية :

يعود ظهور منصب إمرة العرب بصورة غير رسمية إلى عهد الفاطميين (٣٥٨- ٥٦٧هـ/٩٦٨-١١٧١م) ، فعلى الرغم من تمتع الفاطميين بنفوذ واسع في بلاد الشام ، إلا أنهم ظلوا ينظرون بعين الريبة إلى القبائل العربية المنتشرة في الجهات الجنوبية من بلاد الشام وخاصة قبيلة آل الجراح الطائية [١] ، لما عرفته عنها من امتلاك قوة عسكرية من الجنود والفرسان المدربين ، ولقدرة هذه القبيلة على استقطاب القبائل الأخرى ، وهذا يعتبر تهديداً للنفوذ الفاطمي في المنطقة [٢] ، الأمر الذي دفع الفاطميين سنة٣٧٠هـ / (٩٨٠م) للتخطيط لقتل زعيم آل الجراح الأمير مفرج الطائي[٣].

---

(١) آل الجراح الطائية : ينتسبون إلى طيّء بن أُدد بن زيد بن عريب بن كهلان بن سبأ ، كانت منازلهم الأولى في اليمن ، فخرجوا منه على إثر سيل العرم إلى تهامة فالحجاز، ثم نزلوا هضبة نجد ، فغلبوا بني أسد على أجا وسلمى وهما جبلان يعرفان بجبلي طيء (جبل شمر) ، وبعد الفتوحات الإسلامية استقروا في العراق والشام ومصر ، وقد شكلت هذه المنطقة مركزاً تجارياً مهما يمر فيها طريق الحاج العراقي والشامي . وتعرف باسم " شمر " وطوائفها منتشرة في نجد وبر الشام والعراق . ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ص٣٠ ؛ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق محمد مخزوم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ، ص٢٥٤ ؛ مصطفي مراد الدباغ : القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين ، المؤسسة العربية ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص٧٢ ، ٧٩ .

(٢) ابن القلانسي : تاريخ دمشق (٣٦٠ – ٥٥٥هـ) ، تحقيق سهيل زكار ، ط١ ، دار حسان ، دمشق ١٩٨٣م ، ص٤٤ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ط٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٨م ، ٧ / ٣٩٤ .

(٣) هو : مفرج بن الجراح بن بدر بن سالم بن علي بن قصة، أمير بني طيئ وسائر العرب بأرض فلسطين ، كثرت جموعه وقويت شوكته، وعاث في البلاد وخربها، =

لكنهم لم ينجحوا في ذلك [١]، وقد أدى هذا التصرف إلى خلق حالة من التوتر بين الطرفين ، ففكر الطائيون في الاستقلال عن الدولة الفاطمية فتبنوا مشروعاً لإقامة خلافة عربية سنة ٤٠١هـ (١٠١٠م) وذلك بالاتصال بأمير مكة الشريف أبي الفتوح الحسن بن جعفر العلوي [٢] . وأخبروه برغبتهم في توليه الخلافة ، واستجاب أبو الفتوح لهذه الدعوة ، وقدم إلى بلاد الشام حيث بويع على الخلافة ولقب بالراشد بالله [٣] .

هذه الظروف السياسية ألجأت الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٣٨٦

=وأرسل إليه العزيز بالله الفاطمي عساكر لحربه فهزمه واستولى على أموالهم وذخائرهم، وأقام مفرج وابنه حسان شريدين حتى مات مفرج سنة ٤٠٣هـ . ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ، ٤ / ٦٧، ٧٣ ؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق جمال الدين الشيال، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م، ٢ / ٩٩ .

(١) ابن القلانسي : تاريخ دمشق ، ص٤٤ .

(٢) هو : الحسن بن جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسي بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الفتوح الحسيني المكي أمير مكة ، وليها بعد أخيه عيسى سنة ٣٨٤هـ فدام ستاً وأربعين سنة ، خرج عن طاعة الحاكم العبيدي صاحب مصر ودعا لنفسه وخطب له بالخلافة ولقب بالراشد بالله ، وتابعه أهل الحرمين ، وأخذ ما على الكعبة من الحلية وضرب دراهم باسمه ، ثم قبض عليه وسلم للحاكم فعفا عنه وأعاده لحكم مكة ، واستمر حتى توفي سنة ٤٣٠هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م ، ١٣ / ٨٧ ؛ السخاوي : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان – ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ١ / ٢٧٢، ٢٧٣.

(٣) الأنطاكي : تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا ، حققه عمر عبد السلام تدمري ، جروس برس ، طرابلس ، لبنان ١٩٩٠م ، ص٢٩٣ ؛ الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، ١٩٨٥م ، ٢ / ٣٠٨ .

– ٤١١هـ / ٩٩٦ – ١٠٢٠م) [١] إلى استمالة أمير بني طيء حسان بن المفرج [٢] فأصدر مراسيم الإمرة له وأقطعه[٣] الرملة [٤]عام ٤٠٣هـ (١٠١٢م)، وشملت الإقطاع والتقرير والإمضاء [٥] . وفي عام ٤١٥هـ (١٠٢٤م) منح الفاطميون الأمير حسان مدينة نابلس[٦] إقطاعاً له ، كما

(١) هو : أبو على منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز بالله معد بن المنصور بالله إسماعيل ابن القائم بأمر الله محمد بن المهدى ، ولد سنة ٣٧٥هـ وبويع بالخلافة يوم مات أبوه سنة ٣٨٦هـ ، واستمرت خلافته على مصر خمساً وعشرين سنة ، توفي سنة ٤١١هـ . المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف بالخطط المقريزية ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة = = (د. ت) ، ١ / ٣٥٤ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة (د.ت) ، ٤ / ١٧٦ – ١٩٦ .

(٢) هو : حسان بن مفرج بن دغفل بن جراح الطائي ، أمير الشام ، كانت إمامته بالرملة وخلف أباه على الإمارة بعد وفاته سنة ٤٠٣هـ ، أو ٤٠٤هـ ، وعظم صيته ، وكان بينه وبين خلفاء الفاطميين معزة ، مدحه الشعراء ، توفي نحو سنة ٤٢٠هـ . ابن خلدون : العبر ٤ / ٧٣.

(٣) الإقطاع : من أقطعته قطيعة ، أي طائفة من الأرض ، والإقطاع : نظام يقوم على العلاقة بين السادة ونوابهم ، يقضى بأن يملك الأول الآخر قطعة من الأرض على سبيل المنحة لهم ولأولادهم. ابن منظور : لسان العرب ، ط٣ ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، ١١ /٢٢٤ .

(٤) الرملة : مدينة عظيمة بفلسطين ، وكانت رباطا للمسلمين ، كثيرة الفواكه ، حررها صلاح الدين الأيوبي من الفرنج ، ثم خربها حتي لا يستولوا عليها مرة أخري. ياقوت : معجم البلدان ، ط٢ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٥م ، ٣ / ٦٩ .

(٥) الروذراوي : ذيل تجارب الأمم ، تحقيق هـ . أمدروز ، مطبعة شركة التمدن الصناعية ، القاهرة ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م ، ٣ / ٢٣٨ .

(٦) نابلس : مدينة مشهورة بأرض فلسطين ، كثيرة المياه . ياقوت : معجم البلدان ، ٥ / ٢٤٨.

أغدقوا عليه وعلى غيره من الأمراء الطائيين وأمراء القبائل الأخرى الخلع والإقطاعات والجرايات وأهدوهم السيوف والمناطق المذهبة ، إضافة إلى الثياب والعمائم المثقلة بالذهب [١] .

عاشت القبائل العربية الشامية حالة غير مستقرة بسبب ما حصل من مستجدات في بلاد الشام ، فقد جددت الدولة العباسية نشاطها في استعادة نفوذها فيها مستفيدة من الحماس الذي أبداه السلاجقة [٢] في هذا الاتجاه ، الأمر الذي أذكى حدة الصراع بينها وبين الدولة الفاطمية ، ثم أعقب ذلك تعرض بلاد الشام للغزو الصليبي سنة ٤٩١هـ (١٠٩٧م) [٣] .

لقد كان لهذا التحول في بلاد الشام أثره على حياة القبائل العربية ، ففي حين كان عليها التعامل مع الصراع العباسي (السلجوقي) والفاطمي ؛

---

(١) المسبحي : أخبار مصر ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، القسم التاريخي ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة (د . ت) ص٥٤ ، ٥٨ .

(٢) السلاجقة : ينتمي السلاجقة إلي قبيلة قنق إحدي عشائر الغز التركية الذين نزحوا مع زعيمهم سلجوق إلي بلاد ما وراء النهر واستقروا في بخاري واعتنقوا الإسلام وأسسوا دولتهم سنة ٤٢٩هـ علي يد زعيمهم طغرل بك وخاضوا العديد من الحروب ضد الغزنويين والبويهيين والصلبيين ، وفي سنة ٥٤٨هـ بدأت دولة السلاجقة في التفكك غير أن فروعاً منهم كونوا العديد من الامارات أبرزهم : سلاجقة الروم في الاناضول ، وسلاجقة كرمان في فارس ، وسلاجقة دمشق وحلب في بلاد الشام .ابن الأثير : الكامل ، ١٠ / ٢٥ ؛ علي محمد محمد الصلابي : دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي ، ط ١ ، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م ، ص ١٥ وما بعدها .

(٣) نجح الصليبيون في تأسيس إمارتين أولهما في الرها وأنطاكية سنة ٤٩١هـ ، والثانية في بيت المقدس ٤٩٢هـ ، والذي مهد لقيام إمارة طرابلس ٥٠٢هـ. ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ، ١٩٠٨م ، ص١٣٥ ، ١٣٦ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ٩ / ١٣ ؛ ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، نقله إلى العربية د/ السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ١٩٩٧م ، ١ / ١٩٥ ، ١٩٦ .

فإن بعضها وجد نفسه في مواجهة مع الفرنج الصليبيين ، ولما لم تجد القبائل العربية نفعاً من مواجهة الصليبيين بسبب غياب دور الدولتين العباسية والفاطمية في صدهم ، لجأ بعضهم إلى اتخاذ أعمال السلب والنهب ، الأمر الذي استدعى قيام حاكم دمشق(١) الأمير طغتكين (٢) بطرد الأمير فضل بن ربيعة الطائي (٣) من البلاد سنة ٥٠٠هـ (١١٠٦م) (٤) .

وعندما أنشأ السلاجقة أتابكية (٥) في الموصل(٦) سنة ٥٢٢هـ (١١٢٨م) من أجل مواجهة الصليبيين في بلاد الشام أدرك مؤسس هذه

---

(١) دمشق : إحدى مدن الشام الشهيرة ، فتحها المسلمون سنة ١٤هـ . ياقوت: معجم البلدان ، ٢ / ٤٦٣ .

(٢) طغتكين: مملوك سلطان سلاجقة الشام تتش بن آلب أرسلان توفي سنة ٥٢٢هـ . ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص٢٢٠ ؛ ابن الأثير : الكامل ١٠ / ٦٥٢.

(٣) هو : فضل بن ربيعة بن حازم بن الجراح الطائي كان أباؤه أصحاب بيت المقدس والبلقاء ، طرده الأمير طغتكين من بلاد الشام فلجأ إلى الأمير صدقة بن مزيد في العراق ، ثم دخل في خدمة السلطان محمد السلجوقي ثم انقطعت أخباره سنة ٥٠١هـ . ابن الأثير : الكامل ٩ / ١١٢ ؛ ابن خلدون : العبر ، ٤ / ٣٦٨.

(٤) ابن الأثير : مصدر سابق ، ٩ / ١١٥ ؛ ابن خلدون : مصدر سابق ، ٥ / ٤٢٦ .

(٥) الموصل : هي إحدى مدن العراق مدينة مشهورة على طرف دجلة ، وسميت بذلك لأنها وصلت بين دجلة والفرات ، أو بين الجزيرة والعراق . ياقوت : معجم البلدان ، ٥ / ٢٢٣ ، البغدادي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق على محمد البجاوي ، ط١ ، دار المعرفة ، بيروت١٩٥٤م، ٣ / ١٣٣٣ .

(٦) أتابك : لفظ مركب من " أتا " بمعني الأب و " بك " بمعني الأمير ، وهو يدل علي مؤدب الأمراء الأتراك ، وفي عصر السلاجقة أسند اللقب إلي بعض الأمراء البارزين الذين يمتون للحاكم بصلة قرابة من جهة الأب . حسان حلاق ، عباس صباغ : المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية ، ط ١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩م ، ص ١٤؛ محمد قنديل البقلي : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، طبعة مصورة من طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة الذخائر (١٤٤) القاهرة ، ٢٠٠٤م ، ص١٤.

الإمارة عماد الدين زنكي [١] أهمية القبائل العربية ؛ فعمل على كسبها وتحويلها إلى قوة مساندة له ، وذلك بحل ما كانت تعانيه القبائل من مشكلات ، واستمرار منصب أمير عرب الشام كما كان في عهد طغتكين من أجل تنظيم علاقة الدولة بالقبائل العربية الشامية مع احتفاظهم بالأمير ربيعة بن حازم الطائي[٢] التي أخذت القبيلة اسمها منه أميراً لعرب الشام [٣].

وعلى الرغم من عدم وضوح مهام هذا المنصب بشكل دقيق ، إلا أن إمرة العرب بدأت تظهر بصورة رسمية في عهد الأيوبيين (٥٦٧ – ٦٤٨هـ / ١١٧١ – ١٢٥٠م)، لأن العلاقة بين أعراب الشام وبين السلطة الأيوبية بدأت تنتظم منذ عهد الملك العادل الأيوبي (٥٩٢ – ٦١٥هـ / ١١٩٦ –

(١) هو : أبو الجود عماد الدين زنكي بن آق سنقر بن عبد الله الملقب بالملك المنصور ، ولي بغداد سنة ٥٢١هـ من قبل السلطان السلجوقي محمود بن ملكشاه ، ثم تولي الموصل ، وسلم إليه السلطان السلجوقي والديه فاطلق عليه أتابك ، واستطاع فتح الرها وحاصر قلعة جعبر ولكنه قتل قبل الاستيلاء عليها سنة ٥٤١هـ ودفن بصفين . ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٠٠م ، ٢/ ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

(٢) ربيعة بن حازم بن علي بن مفرج بن دغفل بن الجراح بن شبيب الطائي وإليه ينسب آل ربيعة الذين استمر دورهم في العصر المملوكي ، والمصادر المعاصرة لا تذكر ربيعة هذا ، وإنما ذكرت ولديه مرا وفضل اللذين ينسب إليهما آل فضل وآل مرا . ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق : كامل سليمان الجبوري ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٠م، ٤ / ١٥٨ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ٤ / ٢٠٣ ؛ مصطفي علي مصطفي الحياري : الإمارة الطائية في بلاد الشام في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين ، الجامعة الأمريكية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٩م ، ص٧٥ .

(٣) ابن فضل الله العمري : مصدر سابق ، ٤ / ١٥٨ .

١٢١٨م) [١] وهذا ما يؤكده العمري بقوله [٢] : " ولم يصرح لأحد من هذا البيت – آل فضل بن ربيعة الطائي [٣] – بإمرة على العرب بتقليد من السلطان إلا من أيام العادل أبي بكر أخي السلطان صلاح الدين ... " ، ولم تكن هذه الإمرة على آل فضل وحدهم أو حتى على فروع طيء بالشام ، وإنما على جميع الأعراب في بلاد الشام الذين كانوا تحت طاعة السلاطين .

وظل الأمر على ذلك – تعيين أمير واحد – حتى عهد الملك الكامل (٦١٥ – ٦٣٥هـ / ١٢١٨ – ١٢٣٧م) [٤] الذي آثر أن ينصب أميرين من قبيلة ربيعة في إمرة العرب ، الأمر الذي يدل على حذر الدولة من أمراء

---

(١) هو : أبو بكر محمد بن أيوب بن شادي ، الملقب بالملك العادل ، أخو السلطان صلاح الدين ، ولد سنة ٥٤٠هـ وقيل ٥٣٨هـ ، ملك مصر سنة ٥٩٦هـ وتوفي سنة ٦١٥هـ. ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٥ / ٧٤ – ٧٨ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، تحقيق مجموعة من المستشرقين والباحثين العرب ، طبعة جمعية المستشرقين الألمانية ، مطابع دار صادر، بيروت ،١٩٨٢–١٩٨٤م ، ٢ / ٢٣٥ .

(٢) مسالك الأبصار ، ٤ / ١٦٠ .

(٣) آل فضل بن ربيعة : أشهر فخذ في آل ربيعة وأعلاهم درجة وأرفعهم مكانة ، وهم جمهرة العرب ، وأهل البأس ، كانت ديارهم في حوران ، والجولان ، فغلبهم عليها أبناء عمومتهم (آل مرا) وأخرجوهم منها ، فنزلوا حمص ونواحيها ، وانقسم آل فضل إلى شعب كثيرة منها : آل عيسى ، وآل فرج ، وآل سميط، وآل مسلم ، وآل عامر، لكن أشهرهم آل عيسى الذي انقسم إلى بيت مهنا بن عيسى ، وبيت فضل بن عيسى ، وبيت حارث بن عيسى ، وأولاد حديثة بن عيسى ، وأولاد محمد بن عيسى . ابن فضل الله العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م ، ص٧٩ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى : ٤ / ٢١١ ، ٢١٢ .

(٤) هو : ناصر الدين أبو المعالى محمد بن العادل أبو بكر ولد سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م ، تمللك الديار المصرية في عهد والده عشرين سنة وبعده عشرين سنة ، وملك دمشق ومعظم بلاد الشام ، وبنى دار الحديث بالقاهرة ، توفي سنة ٦٣٥هـ/١٢٤٧م . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٥ / ٧٩ – ٨٩ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، ١ / ١٩٣.

العرب ، فلم تمنح ثقتها إلى رجل واحد ، وربما يكون السبب في ذلك محاولتها استرضاء الزعماء البارزين في القبيلة [١] .

واستمرت إمرة العرب في آل فضل بن ربيعة خاصة في بيت مانع بن حديثة بن عقبة بن ربيعة [٢] ؛ وولى بعده ابنه مهنا [٣] ؛ وكان ينافسه عليها أبو طاهر بن غنام الذي حصل عليها عام ٦٣٨هـ (١٢٤٠م) [٤] .

(١) ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، عني بنشره وتحقيقه سامي الدهان ، المعهد الفرنسي ، دمشق (د . ت) ، ٣ / ١٨٢ ، ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ، ٤ / ١٦٠ ،

(٢) هو : مانع بن حديثة بن غضية بن فضل بن ربيعة من بني جراح من طيئ ، أمير عربان البادية بين الشام والعراق ، كان أمير عرب الشام مناصفة مع غنام أبي طاهر بن غنام في عهد السلطان الكامل بن العادل الأيوبي ، توفي ٦٣٠هـ . الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، حققه: علي أبو زيد ، وآخرون ، ط١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٨م ، ٥ / ٤٦٢ ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق : محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ – ١٩٩٩م ،٢ / ٢٢٧ .

(٣) هو : مهنا بن مانع بن حديثة بن غضية بن فضل بن ربيعة ، أمير عرب الشام ، ووالد الأمير عيسي ، توفي سنة ٦٤٦هـ . الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٢٣ / ٢٢٩.

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، ٣ / ٣٥١ ، ٣٥٢ ؛ ابن خلدون : العبر، ٦ / ١٢ ؛ المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفي زيادة ، القاهرة ١٩٣٤ – ١٩٥٨م، جـ١ ، ق١/ ٢٨٧ .

ثانياً : منصب إمرة العرب في عصر دولة المماليك البحرية:

بدأ منصب إمرة العرب في العصر المملوكي يستقر بمفهومه ومهامه، وأصبح أكثر تنظيماً ووضوحاً ، وغدا منصباً رسمياً كبقية المناصب الأخرى .

١ – مفهوم منصب إمرة العرب :

منصب إمرة العرب يعني الرئاسة العليا للعرب ، وهو منصب رسمي يتولاه أمير العرب من قبل الأبواب السلطانية ، ويكتب له تقليد شريف ، ويلبس تشريفاً أطلساً [١] أسوة بنواب السلطان إن كان حاضراً ، أو يجهز له إن كان غائباً [٢] .

لذلك أصبح منصب أمير العرب منصباً رسمياً مثله مثل بقية المناصب الأخرى ، وأصبح لحامل لقب الإمرة مرتبة عسكرية في الجهاز الإداري المملوكي ، والتي على أساسها تحددت العلاقة بينه وبين السلطان ونوابه من الأمراء المماليك ؛ الأمر الذي جعل الدولة المملوكية تستحدث وظائف خاصة تنظم علاقة إمرة العرب بالسلطنة في كل من القاهرة ودمشق وبقية مراكز النيابات[٣] الشامية ؛ كما رتب فيها موظفون مختصون بشؤون القبائل العربية وزعمائها ، وكانت من أهم هذه الوظائف وظيفة: المهمندارية [٤] التي اختص

---

(١) التشريف : الخلعة أو الملابس المهداة من السلطان إلي كبار الأمراء في مناسبات خاصة أهمها التعيين في المناصب الكبرى . والأطلس هو الحرير ومنه أنواع كثيرة أهمها الأطلس الخطائي المصنوع في شمال الصين . حسان حلاق : المعجم الجامع ، ص ٥٤ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكى في مصر والشام ، ط٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص ٣٩٩ ، ٤٠٩ ؛ محمد قنديل البقلي : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، ص ٧٦.

(٢) ابن خلدون : العبر ، ٦ / ١٨ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ٤ / ٢١٣ .

(٣) النيابة : مصدر للفعل ناب ، وهو فعل ثلاثى ومنه اشتق لفظ نائب ينوب فهو نائب ، ويقال ناب فلان عن فلان ينوب نوباً ومناباً ، وإذا قام مقامه فهو نائب . القلقشندي : صبح الأعشى ، ٥ / ٤٢٦ .

(٤) المهمندار : لفظ فارسي مركب من " مهمن " بفتح الميم ومعناه الضيف و "دار" =

صاحبها بتلقي واستقبال أمراء العرب وتنظيم صرف أعطياتهم وأخبازهم [١] ، وتبليغهم بأوامر السلطان ، وكان المهمندار بمثابة ضابط اتصال بين السلطان المملوكي وأمراء العرب ، ويختار من أرباب السيوف ، ويشترط فيه أن يكون عارفاً بالقبائل وأنسابها ، وعلاقاتها المتشابكة مع بعضها [٢] .

وكان أمير العرب وأمراء القبائل ، كأصحاب مناصب رسمية في الدولة ، يعتبرون من أرباب السيوف ، ويعدون ضمن هذه الفئة عند ذكر مهام موظفي الدولة ، فعدهم القلقشندي ، من الصنف الثاني في ولاية أرباب السيوف ، كأمير آل فضل وآل مرا [٣] وآل علي [٤]، وأصبحوا يشكلون الطبقة

=معناه ممسك والمعنى إجمالاً ، القائم على إدارة شؤون الضيافة ، ويمكن أن يتولى المهمندارية اثنان ، أحدهما يكون تارة أمير طبلخاناة ، وتارة يكون أمير عشرة ، ويتم توليته عن طريق النائب . القلقشندي : مصدر سابق ، ٤ / ٢٥٥ ؛ حسان حلاق : المعجم الجامع ، ص ٢١٤ ؛ محمد قنديل البقلي : التعريف ، ص٣٣٤ .

(١) الخبز : جمعه أخباز ، ومن معانيه في العصر المملوكي الاقطاع . عاشور : العصر المماليكي ، ص ٤١٨ .

(٢) القلقشندي : مصدر سابق ،٤ / ٢٢؛ مصطفي الحيارى : الإمارة الطائية ، ص١٠٢.

(٣) آل مرا : بكسر الميم ، وهم الفرع الثاني لقبيلة ربيعة بعد آل فضل ، وديارهم تمتد في حوران والجيدور والجولان حتى الزرقاء والضليل باتجاه بصرى وجنوباً باتجاه الحجاز حتى حرة كشب قرب مكة، الأمر الذي مكنهم من أن يكونوا قوة مؤثرة بحكم وقوع طرق المواصلات والحج عبر أراضيهم. ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٤ / ١٧٤ ؛ القلقشندي : قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الإبياري ، ط ٢ ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٢م ، ص ٧٩ ؛ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان (د . ت) ص١١١ ، ١١٢ .

(٤) آل علي : امتدت أراضي آل علي في البلاد المحيطة بدمشق وفي غوطتها ، كما كان لهم امتداد باتجاه الجوف والجنانية، ثم واحة تيماء فالبرادع باتجاه الحجاز ، وقد أعطاهم موقعهم هذا أهمية كبيرة ، وكانوا قبل عام ٦٠٩هـ جزءًا من آل فضل ، حتى اختلفوا معهم وانفصلوا عنهم ، ابن فضل الله العمري : مصدر سابق ، ٤ / ١٧٢ ؛ ابن خلدون : العبر ، ٥ / ٤٢٨ ، ١٦ / ١٤ – ١٦ .

الرابعة والأخيرة من ولاة الأمور في مصر ، ومثل ذلك كان الأمر بالنسبة لعربان الشام الذين ارتبط أمراؤهم بالسلطان مباشرة [١] .

ونظراً لتفاوت القبائل العربية من حيث حجمها وقوتها ومكانتها ، فإن أمراءها أصبحوا متفاوتين من حيث المركز والأهمية ، فكل أمير يستمد قوته ومكانته من وضع قبيلته ، ولهذا وجد إلى جانب منصب إمرة العرب مناصب أقل مرتبة مثل وظيفة شيخ المعرة أو التي يتولاها شيخ القبيلة [٢] .

٢- تعيين أمراء العرب :

كان يتم تعيين الأمير بوثيقة رسمية هي مرسوم بالتقليد أو منشور بالإمرة ، يرسل إلى الأمير المعين من الديوان في القاهرة ، أو يحمله معه الأمير إذا كان موجوداً في العاصمة وقت تعيينه ، أما العزل فلم تصل إلينا مراسيم بعزلهم ، ويبدو أن تعيين أمير جديد يعد كافياً للإشعار بعزل الأمير السابق واعتبار الإمارة خارجة عنه [٣] .

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ٥ / ٤٩٥ ، ٩ / ٢٥٦ .

(٢) المعرة هي : معرة النعمان مدينة من أعمال حمص بين حلب وحماة . ياقوت : معجم البلدان ، ٥ / ١٥٦. وكان للمعرة شيخها ، وهو " ابن العجيل " فلما غضب منه السلطان استدعاه وسجنه في جب برج القلعة حوالي خمسة شهور ، ثم أطلق سراحه وأعاده إلى مشيخة المعرة ، كما كان للعجارمة من بنى طريف شيخهم مسعود بن جرير ، واحتل مكانة مرموقة عند ولاة الأمر . ابن فضل الله العمري : مصدر سابق ، ٤ / ١٥٦ ؛ ابن تغري بردي : حوادث الدهور في مدي الأيام والشهور ، تحقيق د. محمد كمال عز الدين ، ط١ ، عالم الكتب ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م ، ١ / ٢٨٦ .

(٣) القلقشندي : مصدر سابق ، ١٢ /٢١ ؛ مصطفي الحياري : الإمارة الطائية ، ص١٠٣ .

٣- مراتب أمراء العرب :

كان أمراء القبائل على مراتب متفاوتة من حيث الأهمية ويتضح ذلك من أسلوب الكتابة إليهم والألقاب التي توضع في " طرة " [١] الكتب المرسلة إليهم ونوع وعدد الألقاب التي تكتب إلى كل واحد منهم والتي تدل على مركزه ومرتبته في الدولة [٢] . فنجد أن آل فضل لما كانوا يتمتعون به من كثرة العدد، والمال الوفير ، ومكانتهم بين الناس ، فإن رسم المكاتبة الصادرة عن الأبواب السلطانية لأميرهم كما أوردها القلقشندي هي [٣] " أدام الله تعالى نعمة المجلس العالي الأميري بألقاب جليلة معظمة مفخمة " . أما نظيره في الرتبة أو الأقل منه ويتمتع بالإمرة ، فرسم المكاتبة إليه " صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالي " ؛ ولمن دون هؤلاء كان يخاطب في المكاتبات السلطانية بلفظ " المجلس السامي الأميري " [٤].

ويؤكد ذلك ما ذكره ابن ناظر الجيش من أن خمسة أمراء [٥] من بيت مهنا بن عيسى[٦] يعبر عن أميرهم بأمير آل فضل ، ورسم المكاتبة إليهم

---

(١) طرة : هي الهامش الذي يترك في أعلى الكتاب ، ولها قواعد إذ كان الكتاب من الأعلى إلى الأدنى والعكس ، وفي المكاتبات الصادرة عن السلطان تكون الطرة فيها ما بين ثلاثة أوصال إلى وصلين ومن النواب ومن في معناهم تكون وصلاً واحداً . القلقشندي : صبح الأعشى ، ١٢ / ٢٩٠ ؛ البقلي : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، ص٢٣٠ .

(٢) مصطفي الحياري : الإمارة الطائية ، ص١٠٣ .

(٣) صبح الأعشى ، ٧/ ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٤) ابن فضل الله العمري: التعريف، ص١١٢ ؛ القلقشندي : مصدر سابق ، ٧/ ٢٠٤.

(٥) الأمراء هم : عساف بن مهنا ، عنقاء بن مهنا ، زامل بن موسي بن مهنا ، محمد بن حيار بن مهنا (نُعير) ، علي بن سليمان بن مهنا . ابن ناظر الجيش : كتاب تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق رودلف فسلي ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م ، ص١٢٨ .

(٦) هو : حسام الدين مهنا بن عيسى بن مهنا بن نافع بن حديثة بن فضل بن ربيعة =

يكون بلفظ " صدرت " و" السامي " [١] . هذا ما كان يخص آل فضل ، أما آل علي ، فرسم المكاتبة إلى أميرهم نصه " صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس السامي الأميري " ، ومثل ذلك كان يكتب لآل مِرا .

أما من كان دون آل علي وآل مِرا من أقاربهم فإنه كان يكتب لأعيانهم " السامي الأمير " ومن هم أقل مرتبة من هؤلاء يكتب لهم " مجلس الأمير " . وأما بقية عرب الشام فإنهم " إذا أطاعوا كتبت لأكابرهم الاسم ومجلس الأمير ، هذا إن انفرد أحدهم المكاتبة ، وإلا فالعادة أن يكتب لكل طائفة من هؤلاء مطلق لفظ " شريف " ؛ على أنه لم تجرِ العادة بمكاتبة أحد من هؤلاء لا على انفراد ولا على اجتماع [٢] .

وكان عدد الألقاب التي توضع في المكاتبات السلطانية لأمراء عرب الشام يتفاوت حسب مراتب الأمراء ومكانتهم لدى السلطة المملوكية . فعدد ألقاب أمير آل فضل كانت حوالي ثلاثة وعشرين لقباً ، لأنهم رأس الإمرة بين القبائل العربية، كما لقب أمير آل علي بواحد وعشرين لقباً، وكان لأمير آل مِرا ثمانية عشر لقباً، وأما بقية ألقاب أمراء العرب فقد شملت أحد عشر

=أمير آل فضل من طيئ ، ولد سنة ٦٥٠هـ وتولى عقب وفاة أبيه سنة ٦٨٣هـ فسار على خطي والده في الخير والإحسان وأطاعه العرب كافة وعظم شأنه عند الملوك ، توفي سنة ٧٣٥هـ ، وكان عمره ثمانين سنة ، وترك ست عشرة ولداً ، ومن أعماله بناء مارستان ببلدة سرمين . اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، ط ٢ ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٢م ، ٤/ ٣٦ ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٢٣ – ١٩٩٤م، ٣١ / ١٢٠ ، ١٢١ ؛ الذهبي : العبر في خبر من غبر ، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د . ت) ، ٣ / ٣٥٣ .

(١) ابن ناظر الجيش : تثقيف التعريف ، ص١٢٨ ، ١٢٩، القلقشندي : صبح الأعشى ، ٧ / ٢٠٥ .

(٢) ابن فضل الله العمري : التعريف ، ص١١٢ ، ١١٣ ؛ ابن ناظر الجيش : تثقيف التعريف ، ص١٢٩ ، ١٣١؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ٧ / ٢٠٦ .

لقباً[١].

ويلاحظ أن الألقاب الممنوحة لأمراء العرب كانت منتقاه ، ومتماثلة ، لكن لقب " العالي " أرفع مكانة من " السامي " ولقب " الأميري " أرفع من " الأمير " . أي أن اللقب الذي ألحقت به الياء أرفع مكانة من اللقب المجرد من الياء .

وعلى الرغم من أن مراتب أمراء العرب كمراتب أرباب السيوف ، إلا أنهم لم يكونوا في منزلة ومركز جميع هؤلاء . فقد كانت مراتب أمراء العرب أقل من مراتب أمراء الجند الكبار وأصحاب المناصب المهمة الأخرى في الدولة ، لكنها كانت تتوافق ومراتب أصحاب المراتب الأخرى والأقل أهمية ، فمثلاً صيغة " أعز الله أنصار المقر الكريم " كان يخاطب بها مقدمي الألوف بالشام [٢] وناظر الجيش به [٣] ، ونائب حمص [٤] ، وأمير آل فضل[٥].

فنجد أن منصب أمير العرب في بلاد الشام من المناصب المهمة ، والتي تفوق منصب أمير العرب في مصر وذلك لأنهم كما وصفهم ابن فضل

(١) القلقشندي : مصدر سابق ، ٦ / ١٣٥ – ١٣٩ ، ١٢ / ١٢٦ ، ١٢٧ .
(٢) مقدم الألوف : وظيفة تسمى تقدمة أو تقادم ألف أو ألوف أي تحت قيادتهم ألف من أمراء المئين أو ألوف من الجنود ، كما يسمون لأن الواحد منهم يملك مائة مملوك أو أكثر خاصة به . البقلي : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، ص٣١٩ .
(٣) ناظر الجيش : الناظر هو من ينظر في الأموال وينفذ تصرفاتها ويرفع إليه حسابها لينظر فيه ويتأمله فيمضى ما يمضي ويرد ما يرد . فهو المسئول الأول عن كل ما يجري في الديوان ، وناظر الجيش يعاونه عدد من الكتاب مهمتهم تسجيل أسماء الجنود وأعدادها ونفقاتها . النويري : نهاية الأرب ، ٣ / ٢٩٩ ؛ البقلي : مرجع سابق، ص٣٤٢ .
(٤) حمص : بلدة مشهورة بين دمشق وحلب ، ولها قلعة حصينة في طرفها القبلي . ياقوت : معجم البلدان ، ٢ /٣٠٢ ؛ البغدادي : مراصد الاطلاع ،١ / ٤٢٥ .
(٥) القلقشندي : صبح الأعشى ، ٨ / ٢٢١ .

الله العمري بقوله [١]: " جل القوم وعين الناس ولا عناية للملوك إلا بهم ، ولا مبالاة بغيرهم " ، ووضح سبب تفوقهم علي عرب مصر من حيث الأهمية بقوله : " ولأن عرب مصر على سعة أموالهم واتساع نطاق جماعاتهم ليسوا عند السلطان في الذروة ولا السنام إذ كانوا أهل حاضرة وزرع وليس منهم من يتجد ولايتهم ولا يعرق ولا يشئم ولا يخرجون عن جدر الجدران " [٢] .

ثالثاً : مهام واختصاصات أمير العرب :

عملت دولة المماليك البحرية على ربط أمراء عرب الشام بالجهاز الإداري ومنحتهم العديد من الامتيازات من أجل استيعابهم وتوجيه طاقاتهم لصالحها ، وأوكلت إليهم العديد من المهام التي تتوافق مع طبيعتهم البدوية وبيئتهم الصحراوية ، فكان لهم دور إيجابي مساهم في حفظ الأمن واستقرار بلاد الشام ، ودور سلبي أدى إلى هدر طاقاتهم وانشغال الدولة بالتعامل معهم ، وتنوعت هذه المهام وكان من أهمها :

١- حفظ طرق المواصلات البرية :

كانت القبائل العربية تسيطر على القسم الأكبر من أراضي الدولة المملوكية في بلاد الشام ، ونتيجة لذلك فقد قامت بدور مهمً في الحياة السياسية لا يمكن إهماله ، خاصة أن هذه القبائل كانت تكون قوة عسكرية سياسية لها أهميتها ، وكان لهذه القوة دورها الإيجابي أو السلبي في بلاد الشام حسب مقدرة الدولة المملوكية على استمرار ولاء هذه القبائل لها ، لاسيما وأن العرب في هذه الفترة لا يهم إلا المحافظة على مصالحهم دون النظر إلى اعتبارات ولاء لأرض أو لدولة أو لعقيدة دينية . لذلك عملت دولة المماليك منذ قيامها إلى تثبيت منصب إمرة العرب وتقويته وربطه بالسلطان مباشرة ، وذلك لتحويل القبائل من الدور السلبي الذي اعتادت عليه في معظم الأحيان إلى

(١) التعريف ، ص١١١ ؛ القلقشندي : مصدر سابق ،٧ / ٢٠٣ .
(٢) التعريف ، ص ١٠٧ .

الدور الإيجابي [١] .

ومن الخدمات المهمة التي كانت يمكن للقبائل العربية القيام بها المحافظة على طرق المواصلات ، فقد كانت هذه القبائل تسيطر – على قلب حركة المواصلات بحكم توزيعها الجغرافي في بلاد الشام والعراق وأطراف الجزيرة العربية وسيناء وشرق النيل – الخاصة بالبريد[٢] والحج والتجارة ، وكانت جميع هذه الطرق واقعة تحت رحمة القبائل طول الوقت . فعملت الدولة المملوكية على تنظيم علاقتها بهذه القبائل وأوكلت إليها حفظ هذه الطرق مقابل ما كانت تقدمه لهم من إقطاعات وهبات .

أ- حفظ طرق البريد :

اهتم سلاطين المماليك بالبريد فأنشأوا العديد من المحطات بين مصر والشام وزودوها بما تحتاجه من خيل وموظفين قائمين على خدمتها ، وذلك لتتبع أخبار الممالك الشامية ، وجعلوا القبائل العربية ، كل في منطقتها ، مسئولة عن محطات البريد التي تقع ضمن حدودها ، وإلزام كل قبيلة بما تحتاج إليه تلك المحطات من الخيل [٣] .

ولم يكتف السلاطين بذلك ، بل اهتموا بالمحافظة على أمن وسلامة هذه

---

(١) مصطفي الحياري : الإمارة الطائية ، ص١٠٧ .

(٢) البريد : اختلف في لفظ " بريد " فذهب بعضهم على أنها فارسية معربة من " بريدة دم " أي مقصوصة الذنبة ، لأنه كان من عادة الفرس أنهم إذا أقاموا بغلاً في البريد قصوا ذنبه ليكون ذلك علامة ، على أنه صار من بغال البريد ، وهناك من يرى : أنها عربية مشتقة من بردت الحديد أرسلت ما يخرج منه ، وقيل إنه : من أبردته أي أرسلته ، أو من برد أي ثبت بما تستقر عليه الأخبار. القلقشندي : صبح الأعشى ، ١٤ / ٤١٢ .

(٣) يذكر أن السلطة المملوكية أوكلت إلي قبيلة ثعلبة وجذام والعائد إقامة خمس عشرة منزلة من منازل البريد ، وتأمين كل منزلة بعشرة من الخيول ، ثم يذكر بأن هؤلاء الأعراب لم يقوموا بالمهمات المكلفين بها على الوجه الأكمل ، فكانوا يرشون الأمراء المماليك المكلفين بالكشف والمراقبة على مراكز البريد بالخيل والجمال والأغنام . ابن أيبك الدوادار : كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ ٩ الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، تحقيق : هانس روبرت رويمر ، المعهد الألماني للآثار، سامي الخانجي ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م ، ص١١٤ – ١١٧ .

الطرق ، فجعلوا القبائل مسئولة عن أجزاء الطرق التي تمر في مناطقها [١] ، فالسلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨- ٦٧٦ هـ/١٢٦٠-١٢٧٧ م) [٢] قدم على أمراء العرب من العائذ [٣] وجَرْم [٤] وثعلبة [٥] في غزة [٦] وضمنّهم [٧] البلاد ، وألزمهم القيام بالعِداد [٨] واشترط عليهم " خدمة البريد وإحضار الخيل

(١) ابن أيبك الدوادار : نفس المصدر والصفحات .

(٢) هو : ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي النجمي ، أصله تركى اشتراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى وبه عرف ، ولايزال يترقى والأقدار تساعده إلى أن ملك مصر بعد مقتل قطز سنة٦٥٨هـ ولقب بالظاهر وجاهد وفتح البلاد ، وتوفي بدمشق سنة ٦٧٦هـ . بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة جـ ٩ ، تحقيق : زبيدة محمد عطا ، طبعة عين للدراسات والبحوث الإنسانية ٢٠٠١م، ص ٨٣ ؛ ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ، تحقيق أحمد رفعت البدراوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م ،٢ / ٣٢١ – ٣٢٢ ؛ المقريزي : الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، بغداد ١٩٥٥م ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٣) العايذ أو العائذ: من القبائل المنتشرة جنوب بلاد الشام ، وهي بطن من جذام يتواجدون عبر منطقة الحدود بين مصر وبلاد الشام والحجاز ، ويتركزون في مدينة غزة . القلقشندي : قلائد الجمان ، ص٦٤ ، ٦٥ ؛ نهاية الأرب ، ص٨٧ ؛ مصطفي الدباغ : القبائل العربية ، ص١٢٩ .

(٤) جرم : نسبة إلى جرم بن عمرو بن الغوث بن طيئ ، يتركزون في بلاد غزة مما يلي الساحل إلى الجبل ، وبلد الخليل ، ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ، ٤ / ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٥) قبيلة ثعلبة : هي بطن من طيئ وديارهم من مصر إلى الخروبة ، ولهم أحلاف كثيرة . القلقشندي : صبح الأعشى ، ٤ / ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٦) غزة : مدينة في فلسطين من ناحية مصر . ياقوت : معجم البلدان ، ٤/ ٢٠٢ .

(٧) الضمان : الملتزم الذي يتولى لحسابه جمع ضريبة من الضرائب التي يفرضها السلطان أو الأمير ، ويضمن في مقابل توليه ذلك مبلغاً معيناً من المال يدفعه إلي الجهة المختصة في أوقات منتظمة كل سنة. البقلي : التعريف ، ص ٢٢٥ .

(٨) العِداد : زكاة مفروضة للسلطان المملوكي سنوياً على قطعان ماشية القبائل العربية العربية والتركمان ، وكانت تصل في كل سنة إلى عشرات الآلاف من الغنم . سعيد عاشور : العصر المماليكي ، ص٤٤٥ .

برسمه " [١] . كما استدعى أمير بني مهدي [٢] ومشايخها وألزمهم " دَرْك [٣] البلاد وخفرهم [٤] إلى أرض الحجاز " [٥] . وحين وصل إلى دمشق سنة ٦٥٩هـ (١٢٦٠م) استدعى أمراء آل فضل وزبيد [٦] وآل ميرا ، " فوصل أرزاقهم وسلمّهم خفر البلاد ، وألزمهم حِفظ الدُّروب حتى حدود العراق [٧] .

ويؤكد ابن خلدون دور عرب جنوب الشام من جُذام[٨] والعائذ وبني عقبة[٩] وآل مهدي في دَرْكِ السابلة [١٠] وحفظ البريد في نواحي البلقاء [١١]

---

(١) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، نشره عبد العزيز الخويطر ، ط١ ، الرياض ،١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م ، ص١١٩ ؛ المقريزي : السلوك، جـ١ ، ق٢ / ٤٨٨ .

(٢) بني مهدي : بطن من جذام استمرت في منطقة البلقاء ، وباير والصوان وحتى أطراف الكرك الكرك ، وتفرع عن هذه القبيلة بطون كثيرة . ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ، ٤ / ١٥٦ . ووصفهم القلقشندي " بأنهم الأكثر عدداً والأوسع نطاقا في قبائل جذام " قلائد الجمان ص٦٦ ، صبح الأعشى ، ٤ / ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(٣) الدّرْك : التبعة ، فيقال درك السلطان أمراء العربان بالبلاد أي جعلها تحت دركهم وتبعتهم وخفارتهم ، المقريزي : السلوك : جـ١ ، ق ٢ / ٤٦٥ ، حاشية (١).

(٤) الخفر : يقال خفر الرجل وخفر به وعليه يخفر خفراً أجاره ومنعه وأمنه ، والخفارة بالفتح والضم هي : الأمان . ابن منظور : لسان العرب ، ٤ / ٢٥٣ .

(٥) المقريزي : السلوك : جـ١ ، ق٢ / ٤٨٨ .

(٦) قبيلة زبيد : هم بنو زبيد بن معن بن عمرو بن طيء ، وهم فرق شتى في بلاد الشام ، ومنهم ومنهم زبيد صرخد (حوران) وزبيد مرج دمشق وغوطتها . القلقشندي : قلائد الجمان ، ص٨٢ ؛ نهاية الأرب ، ص٢٤٩ .

(٧) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص١١٩ .

(٨) جذام : من كهلان من اليمن ، وقد قيل إنهم من ولد يعفر بن مدين بن إبراهيم الخليل عليه عليه السلام. ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ، ٤ / ١٩٤ .

(٩) بنو عقبة : تنسب إلى عقبة بن حرام بن جزام من القحطانية وتمتد من الشوبك إلى حِسمي حِسمي وإلى تبوك وتيماء . القلقشندي : قلائد الجمان ، ص٦٥ ؛ نهاية الأرب ، ص٣٣٠ ، ٣٧١ .

(١٠) السابلة : جمع سوابل وهم أبناء السبيل المختلفون على الطرقات في حوائجهم . ابن منظور : لسان العرب ، ١١ / ٣٢٠ .

(١١) البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القري . ياقوت : معجم البلدان ، ١ /

والكرك [١] حتى أيلة [٢] . وكذلك دور آل فضل في شمالي بلاد الشام ومسئوليتهم عن أمن درك السابلة وحفظ البريد في نواحيها [٣].

ب- حفظ طرق الحج :

وكما اهتمت دولة المماليك بتنظيم شؤون البريد والمحافظة على سلامة طرقه ؛ كذلك نالت طرق الحج اهتماماً عظيماً ، فعمدت الدولة المملوكية إلي تنظيم دور القبائل العربية الشامية للمحافظة على دروب الحجاج المسلمين ، فكانت خفارة طريق غزة لقبائل العائد وجَرْم وثعلبة ، وخفارة طرق البادية الشمالية لآل فضل وآل مهنا ، كما أسندت مهمة المحافظة على طريق دمشق- الحجاز لآل ميرا وبني مهدي وقبائل أخرى [٤].

كما خصصت دولة المماليك البحرية قيمة معلومة من المال ترسل لأمراء العرب لتسهيل مرور الحجاج والسهر على أمنهم في منازل الطريق ، وإلزامهم بتوفير الأغنام والعلف ، كما تتعهد كل قبيلة للسلطة المملوكية بتبعات ما يحدث في أراضيها من نهب لقوافل الحجاج ، فيكون عليها دَرَك ذلك أي تبعته ، وأداء ما يفقد ، وكل ما يترتب على ذلك [٥] . وهذا ما يؤكده ابن بطوطة الذي كان مصاحباً لركب الحاج العراقي والتقى بأميرين من أمراء

٤٨٩؛ البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١ / ٢١٩ .

(١) الكرك : قلعة كانت مشهورة أيام الحروب الصليبية ، وهى تقع في طرف الشام إلى الجنوب من البحر الميت في الجبال بين أيلة والبحر الأحمر " خليج العقبة " والبيت المقدس ، وهى حصينة جداً . ياقوت : مصدر سابق ، ٤ / ٤٥٢ .

(٢) أيلة : مدينة علي ساحل بحر القلزم مما يلي الشام . ياقوت : مصدر سابق ، ١ / ٢٩٢ .

(٣) العبر ، ٦ / ٨ .

(٤) الجزيري : الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، ط١ ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م ، ١ / ٢٨٠.

(٥) الجزيري : نفس المصدر والجزء ، ص٢٣٠ ، ٢٨٠ .

العرب هما فياض [١] وحيار [٢] من أبناء الأمير مهنا بن عيسى " ومعهما من خيل العرب ورجالهم من لا يحصون كثرة ، فظهر منهما المحافظة على الحجاج والرحال والحوطة لهم ... " [٣] .

غير أن أمراء العرب في بعض الأوقات لم يكتفوا بما فرضته لهم الدولة من أموال نظير حماية طرق الحج ؛ بل قاموا بفرض رسوم مالية على كل قافلة حج قادمة من خارج حدود دولة المماليك ومارة ببادية الشام ، وقد بلغت تلك الرسوم خمسة آلاف دينار . يؤكد ذلك ما فعله الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى مع أمير ركب الحجاج العراقيين سنة ٧٢٠هـ (١٣٢٠م) فقد طالبه بدفع الرسوم المالية مقابل مرور القافلة وقال له : " لنا خفر عليكم خمسة آلاف دينار ، وبذلك جرت عادة العرب " [٤] . وذلك على الرغم من أن المراسيم السلطانية الصادرة إلى أمراء آل فضل وسائر العربان تنص على تسهيل السبل للحاج العراقي من بغداد إلى مكة ، ليس هذا فحسب بل كتب

(١) هو : الأمير عز الدين فياض بن مهنا بن عيسى من أكابر أمراء آل مهنا ، مات في العراق سنة ٧٦١هـ . الصفدي : الوافي بالوفيات ٢٤ / ٩٧ ؛ ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ضبطه : الشيخ عبد الوارث محمد علي، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٧م، ٣ / ٢٣٤.

(٢) هو : حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن فضل أمير العرب من آل فضل . ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، حققه عدنان درويش ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، ١٩٩٤م ، ٢ / ٤٥٨ ، ٤٥٩ ؛ ابن حجر : إنباء الغمر بأبناء العمر ، تحقيق حسن حبشي ، القاهرة ١٩٦٩ – ١٩٧٢م ، ١ / ٨٤ .

(٣) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار الشرق العربي (د . ت) ١ / ١٣٣ .

(٤) عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، مطبعة بغداد ، ١٣٥٣هـ /١٩٣٥م ، ١ / ٤٦٦ .

السلطان الناصر محمد (٧٠٩-٧٤١هـ / ١٣٠٩-١٣٤١م) [١] إلى أمير آل فضل مهنا بن عيسى " بأن يجهز مع الركب العراقي بعض إخوته يماشيه من الكوفة إلى مكة المعظمة ، ثم من مكة إلى الكوفة ، ويتكفل بخفارته في الطرقات والمنازل ، وكف الأيدي العادية عنهم ... " [٢] .

ولم يقتصر دور أمراء عرب الشام على حفظ طرق الحج من السلب والنهب وتحصيل الرسوم المالية ؛ بل كان لهم دور إنساني يحمد لهم ، فقد كان يرافق ركب الحاج الشامي أحد شيوخ القبيلة ، وتكون جماله ساقة الحاج[٣]، ليحصل النفع للفقراء وإطعام الجياع وسقاية العطشى [٤] .

كما قام بعض أمراء عرب الشام بمرافقة قوافل الحج تعبيراً عن حرصهم على حفظ طرق الحج ومساعدة الحجاج علي الوصول للأماكن المقدسة ، وعودتهم سالمين ، فيذكر أن الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى حج في سنة ٦٩٧هـ (١٢٩٨م) وبرفقته عدد كبير من أبناء قبيلته ، فحمل المنقطعين من الحجاج ، وتصدق بأشياء كثيرة وأطعم الفقراء ، فشكرت سيرته، وحمدت أفعاله [٥] . كما خرجت سنة ٧١٧هـ (١٣١٨م) نحو اثني عشرة

---

(١) هو : ناصر الدين محمد بن السلطان قلاوون ، ولد سنة ٦٨٤هـ تسلطن بعد قتل أخيه الأشرف ، ثم خلع وخرج إلى الكرك ، ثم أحضر إلى مصر سنة٦٩٨هـ وتسلطن للمرة الثانية ، ثم خلع وهرب إلى الكرك عام ٧٠٨هـ ثم عاد في العام التالي ، واستقر في الملك حتى توفي سنة ٧٤١هـ ، عمر في أيامه العديد من المساجد والخوانق . المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ٩٥ : ٩٩ ؛ المقفي الكبير ، تحقيق : محمد اليعلاوي ، ط ١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٩١م ، جـ ٧ ، ص ١٢٦؛ ابن قاضى شهبة: تاريخه ، ٢ /١٨٤-١٩٥.

(٢) الجزيري : الدرر الفرائد ، ٢ / ٨٠ .

(٣) الساقة : جمع سائق ، وهم الذين يسوقون جيش الغزاة ويكونون من ورائه يحفظونه ، ومنه ساقة الحاج . ابن منظور : لسان العرب ، ١٠ / ١٦٧ .

(٤) الجزيري : الدرر ، ١ / ٢٤٠ .

(٥) الجزيري : مصدر سابق ، ٦١٣/١ .

ألف راحلة من عرب آل فضل للحج يتقدمهم الأمير عيسى بن مهنا [١] الذي شكرت سيرته وأفعاله مع الحجاج والفقراء والمنقطعين [٢] .

ج- حفظ طرق التجارة :

ارتبطت بلاد الشام مع مصر والعراق والحجاز بروابط اقتصادية متينة ، فدمشق ارتبطت بالقاهرة بطريق امتد على خمسة عشر مركزاً رئيسياً ، كما شهدت طرق التجارة بين دمشق وبغداد حركة تجارية نشطة عبر الطريق التجاري الذي يمر بالرحبة [٣] ، كذلك شهدت تجارة الشام مع الحجاز نشاطاً ملحوظاً عبر طريق الحاج الشامي . ولما كانت الطرق التجارية في بلاد الشام تقع ضمن نفوذ القبائل العربية التي تعيش فيها ، فقد عهدت الدولة المملوكية لأمراء الأعراب بمهمة حفظ هذه الطرق وحماية القوافل التجارية القادمة من القاهرة والحجاز وبغداد إلى دمشق ، ومن دمشق إلى تلك البلدان مقابل مبالغ مالية تدفع لهم[٤]. وقد أجاز العلماء لأعراب الشام تحصيل مبلغ من المال من القوافل التجارية والمارة بأراضيهم نظير حمايتهم لتلك القوافل [٥] .

وقد حرص أمراء العرب على تنفيذ المهام التي أوكلها لهم المماليك

---

(١) هو : عيسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا ، مات سنة ٧٤٤هـ كان من خيار أهل بيته ولي الإمرة بعد وفاة موسي بن مهنا ثم صرف عنها ومات بعد قليل . ابن حجر: الدرر الكامنة ، ٣ / ٢٠٨ .

(٢) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق١ / ١٧٨ .

(٣) الرحبة : قرية من أعمال صرخدا أو صلخد ، أو هي ناحية بين الشام والمدينة المنورة. البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١ / ٦٠٨ .

(٤) أكرم حسن علي العلبي : دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين ، الشركة المتحدة للتوزيع ، بيروت، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، ص ٢٧٢؛ إيرامارفين لابيدوس: مدن الشام في العصر المملوكي، ترجمة سهيل زكار ، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ، ص٥١ – ٧٥ .

(٥) ابن تيمية: فقه الجهاد ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م ، ص٦٤. ص٦٤.

في حفظ طرق التجارة حتى غدت التجارة مصدراً اقتصادياً مهماً لبلاد الشام ، فاستوردت القاهرة من دمشق احتياجاتها من الحرير والزيوت والفواكه وحتى الثلج ، كما استعانت دمشق بالقاهرة لسد احتياجاتها من الحبوب والقطن ، ومن بغداد استوردت بلاد الشام التمور وما يجلب من الهند عبر الخليج العربي من توابل وبهارات وجلود ، كما كان الركب الشامي يعود من بلاد الحجاز محملاً بالبضائع والمواد التي تحتاجها دمشق [١] .

٢- تأمين احتياجات الدولة من الخيول والجمال وغيرها :

كان من مهام أمراء العرب تزويد السلطة المملوكية بما تحتاجه من الخيل والجمال والأغنام ، فالأعراب يهتمون بتربية الخيل ؛ لأنها مفخرتهم ومبعث مجدهم ، عليها يهاجمون عدوهم ، ويردون صدمات الغزو ، وللخيل إكرام كبير ومنزلة رفيعة في مضاربهم ، يربطونها أمام البيوت ، كأنها من أفراد الأسرة ، يحيطونها بكل رعاية وقد يؤثرونها على أنفسهم في الغذاء والماء[٢].

ومن عادات العرب المحافظة على ضمور الخيل لئلا تَسْمَن ، كما أنهم يهتمون بأصول الخيل ونسبها ، ولهم عناية في تربيتها وترويضها [٣] .

ولم يكن اهتمام سلاطين دولة المماليك البحرية بالخيل ، بأقل من أمراء العرب ، فالسلطان الناصر محمد بن قلاوون اهتم بخيل أعراب الشام خاصة آل فضل وآل مهنا ، وكان يبالغ في إكرام أصحابها ويزيد في أثمانها حتى خرج عن المألوف ، الأمر الذي دفع آل فضل وآل مهنا وبقية الأعراب

---

(١) إيرامارفين لابيدوس : مرجع سابق ، ص٥١ – ٧٥ .

(٢) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ، ٤ / ١٦٥ – ١٧٢ .

(٣) أحمد وصفي زكريا : عشائر الشام ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، ١ / ٢٣٨ – ٢٤٠ ، محمود زايد : رحلة برترا ندون دي لابردكير إلى فلسطين ولبنان وسوريا ، مجلة الأبحاث ، السنة ١٥ ، ج٣ ، (ص٢٩٩ – ٣٣٥) الجامعة الأمريكية ، بيروت ١٣٨٢هـ – ١٩٦٢م ، ص٣٢٤ .

إلى الاهتمام كثيراً بتربية الخيل وترويضها وجلبها من مصادرها الأصلية ، ودفع الأثمان الزائدة على قيمتها حتى أتتهم طوائف العرب بكرام الخيل الأصيلة ، فتمكن آل مهنا من السلطان الناصر محمد حتى بلغوا أعلى المراتب عنده [١] .

وبلغ من اهتمام السلطان الناصر محمد بالخيل أن دفع في الفرس الواحد ما بين عشرة آلاف ومائة ألف درهم ، ودفع في يوم واحد نحو مليون درهم ثمن خيل جاءته من أعراب الشام [٢] ، ليس هذا فحسب بل يعد السلطان الناصر محمد أول من اتخذ ديواناً للإصطبل السلطاني ، وعمل له ناظراً وشهوداً ، وجعل من ناظر الإصطبل وظيفة جليلة [٣] .

وكما قدم أمراء العرب في الشام الخيول الأصيلة لسلاطين المماليك فإنهم قدموا الهجن الأصيلة لهم ، ففي سنة ٧٣١هـ (١٣٣١م) قدم أمير عرب آل فضل للسلطان الناصر محمد بن قلاوون مئات من الإبل بمناسبة سفره إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج [٤] . وعندما احتاج السلطان الصالح إسماعيل (٧٤٣-٧٤٦هـ / ١٣٤٢-١٣٤٥م) سنة ٧٤٦هـ (١٣٤٥م) [٥] جمالاً ، طلب من أمراء عرب الشام ستة آلاف جمل ، وألفين من الأغنام ، كما تلقى من الأمير فياض بن مهنا هدية شملت خمسين جملاً [٦] .

---

(١) المقريزي : الخطط ، ٢ / ٢٢٥ ؛ السلوك ، جـ٢ ، ق٢ / ٥٢٩ .
(٢) المقريزي : الخطط ، ٢ / ١٩٩ ، ٢٠٠ ؛ السلوك ، جـ٢ ، ق٢ / ٥٢٩ .
(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ،٩ / ١٦٨ .
(٤) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق١ / ٣٥٠ .
(٥) هو : الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون ، ولي السلطنة سنة ٧٤٣هـ وكان مدبر مملكته زوج أمه أرغون العلائي ، ولم تطل مدته، توفي سنة ٧٤٦هـ. المقريزي : الخطط ، ٢ / ٢٤٠ ؛ ابن تغري بردي : مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة ، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٩٧م ،٢ / ٧٧ ، ٧٨ .
(٦) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق٢ /٦٩٢ ، ٧٧٦ .

وقد كانت الخيل والجمال المجلوبة من أمراء العرب من آل فضل نوعين : السياق والتقادم ، فالسياق كانت تشتمل على الخيل والجمال والدواب والأبقار والأغنام التي يحضرها أمراء العرب لبيعها ، وكانت تسجل في الديوان الخاص بذلك ، حيث يقوم الكاتب بتسجيل ما انساق عنده حاصلاً من آخر السياقة الأولى ، ويضيف إلى ذلك ما ابتاعه بتواريخه وأسماء من ابتيع منهم، كما يسجل ما انتجته هذه السياقة من مواليد ، وما هلك منها ، وما ذبح منها يسجل ثمن جلوده [١] ، وقد بلغت السياقة المقررة على أمراء عرب الشام في عهد السلطان الناصر محمد ألف جمل [٢] . وأما التقادم فكانت عبارة عن هدايا من الخيل والإبل يرسلها أمراء العرب إلى سلاطين المماليك ، وفي كل الأحوال كانت تدفع أثمان هذه الخيول والإبل من خزينة الدولة [٣] .

وكانت المراسيم السلطانية الصادرة بحق تعيين أمراء العرب في الإمارة، تنص على أن تأمين الخيول العربية الأصيلة هي إحدى المهام المكلفين بها، فقد أورد القلقشندي العديد من المراسيم السلطانية الخاصة بتعيين أمراء العرب والتي جاء فيها " ولتحصّل من الخيل كل سابقة تليق أن تقدم إلينا ..."[٤] .

٣- مشاركة أمراء العرب في تنظيمات الجيش المملوكي :

تنبهت دولة المماليك البحرية إلى قوة أعراب الشام وحجمهم العسكري في بادية الشام الواسعة وذات الموقع الجغرافي المهم في نطاق الدولة ، فعملت على استيعابهم ضمن قوتها العسكرية . وقد وصف العمري أعراب الشام بأنهم[٥]: "أسوار المدن ، وحفظة الطرق ، ولم يزل منهم أئمة للطلائع ، وجناح

(١) النويري : نهاية الأرب ، ٨ / ٢٨٣ .
(٢) ابن أيبك الدوادار : الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، ص١١٦ .
(٣) المقريزي : الخطط ، ٢ / ٢٢٥ ، ٢٢٨ ؛ السلوك ، جـ٢ ، ق٢ / ٥٢٤ – ٥٣٠ .
(٤) صبح الأعشى ، ١٢ / ١٣٥ .
(٥) مسالك الأبصار ، ٤ / ١٢٨ .

وجناح للجيوش ... " .

ووصفهم ابن إياس ، قائلاً [١] : " إنهم المشاة والفرسان الذين يؤلفون طلائع الجيش المملوكي النظامي التي تنهك قوات العدو " .

وقد بلغ عدد فرسان القبائل العربية الشامية المسجلة في ديوان الجيش المملوكي نحو تسعة وعشرين ألف فارس وراجل من آل فضل وآل مهنا ، وآل ميرا ، وآل علي ، وبني مهدي ، وجرم ، والعائذ [٢] .

وقد استفاد المماليك من عرب آل فضل وآل ميرا في عملياتهم العسكرية ضد التتار[٣]، وقد تمثلت هذه المشاركة في تشكيلات الجيش ، فيذكر أن السلطان المنصور قلاوون(٦٧٨-٦٨٩هـ / ١٢٧٩-١٢٩٠م) [٤] عندما كون جيشاً

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق : محمد مصطفي زيادة ، ط٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،١٩٨٢ – ١٩٨٤م ، جـ١ ، ق٢ / ١٤٤ .

(٢) ابن شاهين الظاهري : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، وضع حواشيه خليل المنصور، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ م ، ص١٠٥ .

(٣) التتار والتتر والمغول : هم شيء واحد ومن الألفاظ المترادفة تقريباً ، وقيل أن كلمة تتر كانت تطلق على جماعة معينة فقط من المغول ، ثم عممت وأطلقت على المغول كلهم ، وقد نشأ المغول الأساسيون في هضبة منغولية ، وقد كان للمغول في عصر المماليك دولتان : دولة بنى هولاكو وتشمل بلاد العراق وفارس وخراسان وما وراء النهر ، وكانت في عداء دائم مع المماليك، ودولة بنى جوجو بن جنكيز خان في الشمال وتعرف باسم بلاد القفجاق (القبلية الذهبية) ، وعلاقتهم مع المماليك اتسمت بالود والصداقة بسبب اعتناقهم الإسلام . ابن الاثير : الكامل ، ٩ / ٣٣٠ ؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ، نشر الأب انطون صالحاني اليسوعى ، بيروت ١٩٥٨م ، ص ٣ ؛ الهمذاني : جامع التواريخ ، ترجمة : محمد صادق نشأت ، وآخرون ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبى ، القاهرة (د.ت) ، م ٢ ، جـ ١ / ٢٠٤ ، ٢١٢ ؛ محمد كرد على : خطط الشام ، ط ٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٩م ،٢ / ١٣٧ .

(٤) هو : الملك المنصور سيف الدين أبو المعالى قلاوون الصالحي الألفي ، اشتراه الأمير آق سنقر بألف ألف دينار ، فعرف بالألفي ، تسلطن سنة ٦٧٨هـ وكان ملكاً كريماً مهيباً حليماً حسن السيرة فتح البلاد وعمر المدارس والقلاع ، توفي سنة ٦٨٩هـ. بيبرس الدوادار : زبدة

لمواجهة المغول سنة ٦٨٠هـ (١٢٨١م) قدم إليه الأمير أحمد بن حجي[١] في جماعة كبيرة من آل ميرا تقرب من أربعة آلاف فارس، بسلاحهم وخيولهم[٢].

كما تمثل دور أمراء العرب في التجسس على الأعداء ، والمحافظة على أطراف البلاد ، حيث كان يطلب من أمراء العرب من آل فضل الذين يعيشون على الحدود بين دولة المماليك ودولة المغول في العراق ، أن يقوموا بالمحافظة على هذه الحدود ، ومنع الأعداء من الدخول في بلاد الشام ، وتزويد الأمراء والنواب والسلاطين بحركاتهم وتجمعاتهم بشكل مستمر [٣] ، فكانوا كما وصفهم العمري[٤]: "عينا له على التتار ، وأعواناً له للانتصار"، وكان أمراء عرب الشام يشاركون بالتجاريد التي كانت ترسل باستمرار لكشف أخبار العدو لمعرفتهم بطرق البادية معرفة دقيقة وذلك في إمارة عيسى بن مهنا الذي كان أكثر العرب تعاوناً مع سلاطين المماليك [٥] .

الفكرة ، ٩ / ١٧٦ ؛ ابن تغري بردي : مورد اللطافة ، ٢ / ٣٨ ، ٤٠ .

(١) هو : شهاب الدين أحمد بن حجي بن يزيد ، أمير آل مرا ، من الفرسان المشهورين والشجعان المذكورين ، له المنزلة العالية عند السلطان الظاهر بيبرس والسلطان المنصور قلاوون ، توفي بالبصرة سنة ٦٨٢هـ . اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، ٤ / ١٨٣؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ٢ / ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(٢) المقريزي : السلوك ، جـ١ ، ق٣ / ٦٩٠ .

(٣) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، ٣ / ٢ ، ١٧٦ ؛ ابن فضل الله العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص٧٩ ؛ المقريزي : السلوك ، جـ١ ، ق٣ / ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦١١ .

(٤) مسالك الأبصار ، ٤ / ١٨١ .

(٥) مفضل ابن أبي الفضائل : النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ، تحقيق أي . بلوشيه ، باريس ١٩١١ – ١٩٣٢م ، ص٩٥ ، ١٣٢ ، ٢٠٥ ؛ اليونيني : مصدر سابق ، ١ / ٤٨٥ ، ٢ / ٣١٨ ؛ ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، القاهرة، ١٩٦١م ، ص١٤٦ .

وعلى الرغم من أن مشاركة أمراء عرب الشام في الحروب كانت محدودة واقتصرت على الفترة الأولى من حكم المماليك البحرية ، إلا أنها كانت فعّاله وذات أثر كبير ، أثارت استغراب المؤرخين خاصة في معركة حمص سنة ٦٨٠هـ (١٢٨١م) حيث وقفوا بقيادة الأمير عيسى بن مهنا إلى جانب المماليك منذ اللحظة الأولى على غير عاداتهم (١) ، ورتبوا في ميمنة الجيش ، وكان لهم دور حاسم في المعركة التي انتهت بهزيمة التتار ، وذلك عندما هاجموا التتار من الخلف ونهبوا الأحمال والأثقال ، فتوهم التتار أن عساكر كثيرة أحاطت بهم من قدامهم وخلفهم (٢) "وكانت بذلك النصرة " (٣) .

فنجد أن أعراب الشام شكلوا قوات استطلاعية لكشف أخبار العدو ، كما شكلوا أحياناً مقدمة الجيش المملوكي كمشاة ، وأما أمراء العرب الفرسان فقد انتظموا في صفوف الجيش المملوكي ، فكونوا ميمنة أو ميسرة الجيش في المعارك الحاسمة.

٤- مهام أخرى لأمراء العرب :

لم تقتصر مهام أمراء العرب على الأمور الرئيسية التي ذكرناها من قبل ، وإنما اشتملت على العديد من المهام الأخرى التي تدل على تنوع المجالات التي من خلالها يخدم أمراء العرب السلطة المملوكية . ومن هذه المهام : أنه كان يستعان بهم للدلالة على الطريق في البادية لمعرفتهم بالطرق خاصة أدلاء قبيلة العايد (٤) .

---

(١) كان العرب في المعارك ينتظرون حتى يبدأ مصير المعركة يتقرر فينضمون إلى الطرف الغالب . الحيارى : الإمارة الطائية ، ص١١٥ حاشية (٤) .

(٢) مفضل بن أبي الفضائل : مصدر سابق ، ص٣٢٧ ، ٣٢٨؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص٢٨٨ .

(٣) اليونيني : مصدر سابق ، ٤ / ٩٤ ؛ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ، ٤ / ١٧٦.

(٤) بيبرس الدوادار : الدر الفاخر ، ص١٩٨ .

كما كان لهم دور في تتبع الأمراء المماليك الخارجين عن طاعة السلطان . ففي سنة ٧٤٠هـ (١٣٤٠م) خرج الأمير تنكز [١] نائب الشام عن طاعة السلطان المملوكي الناصر محمد ، وعندما أراد السلطان القبض عليه ، تصادف حضور الأمير موسى بن مهنا [٢] إلى القاهرة فقرر معه السلطان القبض على تنكز [٣] . كما استعان بهم بعض السلاطين لتتبع أخبار النواب والأمراء وحركات الخارجين عن الطاعة ، وكان بنو عقبة عيوناً للسلطان يزودونه بأخبار هذه الحركات باستمرار [٤] .

ومن مهام أمير العرب توزيع الإقطاعات على بقية أمراء وشيوخ وأفراد القبيلة ، والقبائل المتحالفة معه ، وإعطائهم حقوقهم من " إقطاع واقتطاع " [٥]. كما تقع على أمير العرب مسئولية مساعدة عمال الدولة في جمع زكاة المواشي من العرب التي كانت تعرف بالعداد [٦] .

---

(١) هو : سيف الدين تنكز بن عبد الله الحسامي الناصري ، تولى نيابة دمشق سنة ٧١٢هـ ، مات بالإسكندرية سنة ٧٤١هـ . وكان تنكز عظيم السطوة شديد الغضب وله بدمشق آثار حسنة وأوقاف كثيرة . أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، (د . ت) ، ٤ /١٣٣؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ١٤ / ١٨٧ ؛ ابن طولون : إعلام الوري بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى ، تحقيق محمد أحمد دهمان ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م ، ص٣٨ .

(٢) هو: موسي بن مهنا بن عيسى أمير آل فضل، كان راجح العقل لم يأخذ اقطاعات من المغول، توفي سنة ٧٤٢هـ ودفن في تدمر. الصفدي: أعيان العصر ٣ / ٢٨٣، ٢٨٤.

(٣) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق٢ / ٤٩٩ .

(٤) المقريزي : نفس المصدر والجزء ، ص٥١٨ ، ٥٧٢ ، ٦٢٤ .

(٥) ابن فضل الله العمري : التعريف ، ص١١٠ .

(٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، تحقيق : قسطنطين رزيق ، ونجلاء عز الدين ، الدين ، منشورات الجامعة الأمريكية ، بيروت ، ١٩٣٦ – ١٩٤٢م ،٧ / ١٧٩ ؛

هذا بالإضافة إلى العديد من المهام المكلف بها أمير العرب والتي تضمنها مرسوم تعيينه في الإمرة ، من أمثلة ذلك ، قرى الضيف ، والاصلاح بين أمراء العرب في حالة خصومتهم ، ومنع القبائل التي تخضع لإمرته المباشرة والحليفة له من النزاع فيما بينها ، وجمع العرب على طاعة السلطان ، وأن يعامل الأمراء الآخرين معاملة تتناسب ومكانتهم(١).

رابعًا : علاقة إمراء العرب بسلاطين دولة المماليك البحرية :

في علاقة أمراء العرب بسلاطين المماليك ، تظهر إشكالية مهمة كان لها دور في تشكيل هذه العلاقة وأثرت في السياسة الداخلية لبلاد الشام ، هذه الإشكالية هي ثنائية العقليات المتضاربة عند كل من أمراء أعراب الشام والمماليك ، فعقلية المماليك تتعامل مع هؤلاء الأعراب على أنهم مجرد فئة اجتماعية تابعة لهم ، وبالمقابل كانت هناك عقلية الأعراب التي تحركها إحساسهم بأحقيتهم في حكم أنفسهم ، وبالتالي إخضاع المماليك الدخلاء لحكمهم ، ولمعرفة أي العقليتين انتصرت على الآخر لابد من تناول هذه العلاقة .

١- موقف أمراء العرب من قيام دولة المماليك البحرية :

عندما قضى المماليك البحرية على آخر السلاطين الأيوبيين في مصر الملك المعظم توران شاه (٦٤٧ – ٦٤٨هـ / ١٢٤٩ – ١٢٥٠م) (٢) وأسسوا دولتهم ، كان من الطبيعي أن يناهض أمراء الأيوبيين في بلاد الشام قيام هذه الدولة ويعملوا على اسقاطها واستعادة ملكهم. وقد التزمت معظم قبائل

النويري : نهاية الأرب ، ٨ / ٢٢٨.

(١) ابن فضل الله العمري : التعريف ص١٠٩ ، ١١٠ .

(٢) هو : الملك غياث الدين بن الملك الصالح نجم الدين أيوب ، قتله المماليك سنة ٦٤٨هـ واحرقوه بالنار وأغرقوه في البحر وبه انتهت الدولة الأيوبية . بيبرس المنصوري: مختار الأخبار، تحقيق : عبد الحميد صالح حمدان ، ط١ ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ، ١٩٩٣م ، ص٦ .

الشام الصمت تجاه ذلك ، غير أن بعضها وخاصة قبيلة زبيد ساندت الملك الناصر يوسف الأيوبي [١] في حملته ضد المماليك سنة ٦٤٨هـ (١٢٥٠م)، كما أنها قامت بحمايته عقب فشله في هذه الحملة [٢] . كما أن بعض أمراء آل فضل – وهم أكثر العرب نفوذاً – تعاونوا مع مجموعة كبيرة من الأمراء المماليك البحرية الخارجين عن طاعة دولة المماليك في مصر . والذين التجأوا إلى الناصر يوسف في دمشق ، واتخذوا من بلاد الشام منطلقاً لهجماتهم ضد السلطان المعز آيبك (٦٤٨–٦٥٥هـ /١٢٥٠–١٢٥٧م) [٣] في مصر بين سنتي (٦٥٢ – ٦٥٧هـ / ١٢٥٤ – ١٢٥٨م) [٤].

وعلى إثر الصلح الذي تم بين الناصر يوسف ودولة المماليك البحرية سنة ٦٥٤هـ (١٢٥٦م) [٥] وتخلى الناصر عن مقاومة المماليك ، اضطر

---

(١) هو : الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب حلب ودمشق ، ولد سنة ٦٢٧هـ ، ملكه خاله السلطان الملك الكامل سنة ٦٣٤هـ ، كان جواداً حسن الخلق ، محباً للأدب والعلم ، أنشأ مدرسته بدمشق ، والرباط الكبير توفي سنة ٦٥٨هـ ، وعاش إحدى وثلاثين سنة .الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٢٣ / ٢٥٤ – ٢٠٦ .

(٢) المقريزي : السلوك ، جـ١ ، ق٢ / ٢٧٦ ، ٣٦١ – ٣٦٩ .

(٣) هو : السلطان الملك عز الدين أيبك بن عبد الله الصالحي النجمي ، أول ملوك الترك في مصر وأصله من مماليك الصالح نجم الدين أيوب ، اتفق الأمراء على سلطنته بعد قتل المعظم توران شاه ، وتملك مصر وذلك سنة ٦٤٨هـ ، واستمر في الحكم حتى قتل سنة ٦٥٥هـ ، وكان صاحب برّ ومعروف وعمائر كثيرة . ابن كثير : البداية والنهاية ،١٣ /١٩٨ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء، ٢٣ / ١٩٨ ، ١٩٩ ؛ العبر ، ٣ / ٢٧٥.

(٤) المقريزي : السلوك ، جـ١ ، ق٢ / ٣٧٦ ، ٣٦٠ – ٣٩٢ ، ٤٢٠ .

(٥) اشترط في هذا الصلح أن يكون الشام حتى العريش للناصر يوسف ، ومصر للسلطان المعز أيبك صاحب مصر . أحمد مختار العبادي : قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ، دار النهضة ، بيروت ، (د . ت) ص١٢٧ .

أمراء عرب الشام إلى تغيير موقفهم من دولة المماليك البحرية ، حيث وصل إلى القاهرة في عهد المعز أيبك زعماء آل فضل ، وآل علي ، وآل مرا ، فاستقبلهم السلطان المعز بحفاوة ، وقدم لهم الهدايا العينية والنقدية [١] . والواضح أن هذه الزيارة تعكس رغبة أمراء العرب في إقامة علاقة جيدة مع المماليك في مصر ، كما تعكس حرص سلاطين المماليك البحرية على كسب هذه القبائل واغتنام الفرصة لإشعارهم بمدى احترامهم لهم على الرغم من أن بلاد الشام لم تكن تحت سيطرة دولة المماليك في ذلك الوقت .

والواقع أن دولة المماليك البحرية ، أظهرت في هذه الحقبة تطلعاً للإفادة من أية فرصة تمكنها من تعميق علاقتها مع القبائل العربية في بلاد الشام فاستحدثت – كما ذكرنا – منصب" إمرة العرب " واعتبرته وظيفة رسمية يمكنها من خلاله استيعاب هؤلاء الأعراب وبالتالي إرضاء جانب من طموحاتهم السياسية ، وأوكلوا إليهم العديد من المهام ، فكانت نتائج ذلك في صالح الأعراب والمماليك معاً .

٢- استغلال سلاطين دولة المماليك البحرية لمنصب إمرة العرب :

حدد منصب إمرة العرب علاقة أمراء العرب بسلاطين دولة المماليك البحرية ، فاستغلت الدولة هذا المنصب لفرض سيادتها عليهم وإثبات أحقيتها في اتخاذ القرار السياسي من دون مشاركة الأعراب ، كما أثبت قدرتها على استيعابهم في جهازها الإداري كما خططت ، فربطت تولي هذا المنصب بولاء أمراء العرب لها .

(١) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ، ٤ / ١٧٤ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤ / ٢١٠ ، ٢١١ ؛ قلائد الجمان ، ص٧٥.

فقد كانت إمارة عرب الشام عند قيام دولة المماليك بيد علي بن حديثة بن عقبة بن فضل الطائي ، ثم تولاها زامل بن علي بن حديثة [١] في عهد المعز أيبك (٦٤٨ – ٦٥٥هـ / ١٢٥٠ – ١٢٥٧م) ، واستمر في الإمرة حتى بداية حكم الظاهر بيبرس (٦٥٨ – ٦٧٦هـ / ١٢٦٠ – ١٢٧٧) [٢] .

ثم انتقلت الإمرة إلى بيت آل مهنا بن مانع بن حديثة ، والسبب في ذلك أن الظاهر بيبرس قبل توليه السلطنة رمته الليالي في بيوت الأعراب ، فطلب من أمير العرب علي بن حديثة فرساً فلم يعطه ، وكان ذلك بحضور عيسى بن مهنا [٣] ، فتوسم – هذا الأخير – فيه وضمّه إليه وبالغ في إكرامه؛ وخيره في رباط خيله فاختار فرساً ؛ ولما تسلطن حفظها له ، فانتزع الإمرة من آل علي بن حديثة وأعطاها لعيسى بن مهنا ، فكان لهذه الحادثة أثر كبير في تولية عيسى بن مهنا [٤] ، ورفض الظاهر بيبرس أن يشرك معه أحد من منافسيه خاصة الأمير زامل بن حديثة أمير آل علي الذي وفد بأصحابه على الظاهر بيبرس سنة ٦٥٩هـ (١٢٦٠م) فأرضاه وأكرمه وقدم له تسعة آلاف

---

(١) هو : نور الدين زامل بن علي بن حديثة ، تولى إمارة آل فضل بعد والده ، توفي بالقاهرة سنة ٦٧٠هـ ، وكان عمره حوالي أربعين سنة . ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، نشر باعتناء أحمد حطيط . فرانز شتايز، بفيسبادن ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص٣٩ ؛ اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، ١ / ٤٨٤ ، ٤٨٥ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ٦ / ١٢ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ٤ / ٢١٠ .

(٣) هو : الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضية بن فضل بن ربيعة ، كان رجلاً ديناً خيراً ، انتفع به الإسلام في مواطن كثيرة ، وصلح أمر العرب في أيامه ، وكان حسن السياسة ، توفي سنة ٦٨٣هـ ، وصلى عليه بجامع دمشق . النويري : نهاية الأرب ، ٣١ / ١٢٠ ، ١٢١ ؛ المقريزي : السلوك ، جـ١ ، ق٣ / ٧٢٥ ، ٧٢٦ .

(٤) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ، ٤ / ١٦٠ ؛ الصفدي : أعيان العصر ، ٥ / ٤٦٢ .

مكوك [١] من الغلال ، ورفض توليته ، ثم جمع أمراء العرب وأصدر مرسوماً يقضي بإمرة الأمير عيسى بن مهنا أميراً على جميع أعراب الشام ، مما دفع مؤرخي المماليك أن يطلقوا عليه " ملك العرب " [٢] .

وعلى الرغم من مكانة أعراب العرب – عامة – عند الظاهر بيبرس ، فإن عيسى بن مهنا ظل يحتل المكانة الأولى عنده ، وتضاعفت مكانته عند المنصور قلاوون ، فملّكه تدمر [٣] بعقد البيع والشراء حتى توفى سنة ٦٨٣هـ (١٢٨٤م) [٤] .

ولما تولى الأمير مهنا بن عيسى بن مهنا الإمرة بعد والده علت مكانته في أيام قلاوون أكثر من مكانة أبيه عيسى [٥] ، لكن الإمرة خرجت عنه مرات عديدة فكلما ساءت العلاقات بينه وبين سلاطين المماليك كان يعزل ، ففي سنة ٦٩٢هـ (١٢٩٣م) أضمر السلطان الأشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩ – ٦٩٣هـ / ١٢٩٠ – ١٢٩٣م) [٦] الانتقام من الأمير مهنا بن عيسى بن مهنا بسب احتجاجه للأشرف خليل لما أكلت عساكره زروع إقطاع عيسى وآذت الأهالي ، وظل الأشرف يتحين الفرصة حتى واتته في دمشق لما

---

(١) المكوك : جمعه مكاكيك ، وهو مكيال للحبوب يسع صاعاً ونصف ، والصاع قدره نصف ويبة ، والويبة ثلاث كيلات ، والمكوك في حلب معتبر بسبع ويبات بالكيل المصري . البقلي : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، ص٣٢٥ .

(٢) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، ١ / ٣٦ ، ٥٤ ؛ الذهبي : العبر ، ٣ / ٣٥٣ .

(٣) تدمر: مدينة قديمة مشهورة في برية الشام ، وفتحت صلحاً علي يد خالد بن الوليد . ياقوت : معجم البلدان ، ٢ / ١٧ – ١٩ .

(٤) النويري : نهاية الأرب ، ٣١ / ١٢٠ ، ١٢١ .

(٥) النويري : نفس المصدر والجزء، ص ١٢١ ؛ ابن الفرات: تاريخ الدول ، ٨ / ٨ .

(٦) هو : الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن المنصور قلاوون ، تولى بعد أبيه ، وأفتتح وأفتتح عهده بالجهاد ، ففتح عكا وغالب سواحل الشام ، وكان ملكا شجاعاً مهاباً عالي الهمة ، قتل على يد بعض مماليكه سنة ٦٩٣هـ . بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، ٩ / ٢٨٨ ؛ ابن تغري بردي : مورد اللطافة ، ٢ / ٤٢ ؛ النجوم ، ٨ / ٣ وما بعدها .

عمل الأمير عيسى وليمة حضرها الأشرف خليل ، ولما فرغ أمسك مهنا وعدداً من أولاده وإخوته ، وجهزهم إلى مصر ، وسجنهم في برج القلعة [١]، وضيق عليهم ، وأعطى الإمرة إلى محمد بن أبي بكر بن علي بن حديثة [٢] أمير آل علي[٣]، ولكن ذلك لم يستمر طويلاً ، فبعد مقتل الأشرف خليل سنة ٦٩٤هـ (١٢٩٣م) ، أفرج عنهم السلطان زين الدين كتبغا (٦٩٤-٦٩٦هـ / ١٢٩٤-١٢٩٦م) [٤] في بداية حكمه وأعاد مهنا إلى إمرة العرب [٥] .

---

(١) القلعة : بناها الأمير بهاء الدين قراقوش للملك الناصر صلاح الدين سنة ٥٧٢هـ ، لها أبراج بارزة، وتضم القصور السلطانية وما يتبعها من اصطبلات وغيرها ، وبنيت القلعة بأحجار مجلوبة من منطقة أهرام الجيزة وسخر في نقلها وبنائها آلافاً من أسرى الصليبين . القلقشندي : صبح الأعشى ، ٣ / ٤٢١ ؛ أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ، دار المعارف ، القاهرة ،١٩٦٩م ، ٢ /٢٢-٢٦ .

(٢) هو : الأمير شمس الدين محمد بن أبي بكر بن علي بن حديثة بن غضية بن فضل بن ربيعة أمير آل علي . تولى إمرة العرب سنة ٦٩٠هـ . أبو الفدا : المختصر ، ٤ / ٨٩ ؛ ابن أيبك الدوادار : كنز الدرر ، جـ٨ ، الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية ، تحقيق أولرخ هارمان ، المعهد الألماني للآثار ، مطبعة عيسي البابي وشركاه ، القاهرة ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م ، ص ٣٤١ .

(٣) النويري : مصدر سابق ، ٣١ / ٢٥٠ ، ٢٥١ ؛ العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٧ – ١٩٩٢م ، ٣ / ١٦٤.

(٤) هو : زين الدين كتبغا بن عبد الله المنصوري التركي المغلي ، أصله من سبى التتار ، ، أخذه المنصور قلاوون وأدبه ثم أعتقه ، وجعله من جملة مماليكه ، ورقاه حتى سار من أكابر الأمراء ، ثم ولى نيابة السلطنة سنة ٦٩٣هـ ، ثم ترك منصبه بسبب سلطنته سنة ٦٩٤هـ ، ولقب بالملك العادل ، ثم خلعه نائبه لاجين سنة ٦٩٦هـ ، وأعطاه نيابة صرخد ، ثم نقله إلى نيابة حماة فمات بها سنة ٧٠٢هـ. بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، ٩ / ٣٢٣ – ٣٣٤ ؛ أبو الفدا : المختصر ، ٤ / ٤٩ ؛ ابن تغري بردي: مورد اللطافة ، ٢ / ٤٨ – ٥٠ .

(٥) ابن الفرات : تاريخ الدول ، ٨ / ١٨٥ .

وكان إذا خرج أمير العرب عن الطاعة – أحياناً – يولي السلطان أخاه بدلاً منه ، ففي عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون خرج مهنا بن عيسى عن الطاعة وذهب إلى المغول في العراق . وأخذ الأمير مهنا يتظاهر أمام كل من السلطان وملك المغول بأنه لا يزال على ولائه لكل منهما [١] . ويبدو أن السلطان المملوكي اكتشف حركة الأمير مهنا فعزله عن الإمارة سنة ٧١٢هـ (١٣١٣م) واستبدله بأخيه فضل بن عيسى [٢] ، الذي ارتبط بعلاقات قوية مع السلطان الناصر على حساب المغول ، ثم ما لبث الأمير فضل بن عيسى أن تقرب من المغول في العراق ، فضاقت الدولة المملوكية ذرعاً من تصرفات أمراء آل فضل واتصالاتهم المباشرة بالمغول ، فعمدت الدولة على طرد الأمير مهنا وأولاده من بلادهم سنة ٧٢٠هـ (١٣٢٠م) وكان عددهم اثنين وسبعين أميراً وتفرقوا في نواحي العراق [٣] .

وعندما نجح السلطان الناصر محمد في كبح جماح الأمير مهنا وأخوته وكسر شوكتهم، قرر نقل إمارة العرب من آل فضل إلى أبناء عمهم آل علي مرة أخرى وعين محمداً بن أبي بكر أميراً على العرب [٤] . فقام أولاد مهنا – المطرودين – بتحريض أتباعهم على إثارة الشغب وقطع الطرق ،

---

(١) ويعلق أبو الفدا على حركة الأمير مهنا قائلاً : " واستمر مهنا على ذلك يأخذ الإقطاعيين بالشام والعراق ويصل إليه الرسل من الفريقين وخلعهما وأنعامهما وهو مقيم بالبريد ينتقل إلى شط الفرات من منازله لا يروح إلى إحدى الفئتين ". المختصر ، ٤ / ٧١ .

(٢) هو : الأمير فضل بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضية بن فضل بن ربيعة أمير آل فضل ، كان مشكور السيرة ، عاقلاً ، حافظاً للأطراف . ابن حجر : الدرر الكامنة ، ٣ / ٢٣١ .

(٣) أبو الفدا ، المختصر ، ٤ / ٨٣ ، ٨٨ ؛ ابن الوردي : تتمة المختصر، ٢ / ٣٨٥ .

(٤) أبو الفدا : مرجع سابق ، ٤ / ٨٩ ؛ ابن خلدون : العبر ، ٥ / ٥٠١ ؛ المقريزي : السلوك ، جـ٢، ق١ / ٢٠٨ .

فاستدعى السلطان الناصر الأمير سيف الدين بن فضل [١] ابن أخي الأمير مهنا ، واتفق معه أن يعمل هو ووالده على منع عمه مهنا وأولاده من التعرض للأهالي ، مقابل إغرائه بمنصب إمرة العرب ، فما زال فضل بأخيه حتى أقنعه بالكف عنهم ، فكافأه السلطان بأن أقره على إمرة العرب بالشام بدلاً من أمير آل علي محمد بن أبي بكر [٢] ، فكان لاستغلال منصب إمرة العرب دوره في كف الأمير مهنا وأولاده من قبل أخيه فضل بن عيسى.

كما استغلت دولة المماليك منصب إمرة العرب لتهدئة العرب الثائرين، فعندما عزل السلطان الناصر أحمد (٧٤٢ – ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م) [٣] الأمير سليمان بن مهنا [٤] لأنه سيء السيرة في رعيته ، وجعل بدلاً منه الأمير عيسى بن فضل [٥] ، كتب الأمير سليمان إلى السلطان كتاباً يهدد فيه باللجوء إلى المغول والاستنجاد بهم إذا لم يعيده إلى منصبه ويطلق سراح أخيه الأمير فياض بن مهنا المقبوض عليه من قبل السلطان ، وتزامن هذا التهديد مع بداية تولي الصالح إسماعيل زمام السلطة المملوكية ، ولأنه كان حديث عهد

---

(١) هو : سيف الدين بن فضل بن عيسى بن مهنا ، كان أميرا محترما مطاعاً في قومه ، مشهوراً بالشجاعة ، تولى الإمارة بعد أخيه عيسى سنة ٧٤٤هـ ، قتل سنة ٧٦٠هـ . ابن حجر : الدرر الكامنة ، ص١٨٣ .

(٢) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق١ / ٢١٢ .

(٣) هو : الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون ، تولي السلطنة بعد أخيه الأشرف كجك سنة ٧٤٢هـ .الصفدي : أعيان العصر ، ١ / ٣٧١ –٣٧٥؛ ابن تغري بردي : النجوم ، ١٠ / ٥٠ .

(٤) هو : علم الدين سليمان بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة ، كان شجاعاً بطلاً ، توجه مع قراسنقر إلى التتار فأقام هناك سبع عشرة سنة ثم عاد إلى الشام ، مات سنة ٧٤٤هـ . ابن حجر : الدرر الكامنة ، ٢ / ١٦٣ .

(٥) هو : شرف الدين عيسى بن فضل بن عيسى بن مهنا ، توفي سنة ٧٤٤هـ ، ويقال أنه كان من خيار أهل بيته ، دفن بمقبرة خالد بن الوليد بحمص . ابن حجر : نفس المصدر ، ٣ /٢٠٨ .

بها ، ولا يزال في مستهل حكمه ، ويرغب في استقرار الأحوال في الشام، وتهدئة مشاعر العرب الثائرين هناك ، فقد رضخ لطلب الأمير سليمان وأعاده إلى إمارته ، وأطلق سراح أخيه فياض ، وأذن له بالعودة إلى بلاد الشام [١] .

ولما عجزت السلطة المملوكية عن استرضاء أمراء العرب ، عملت على إشراك اثنين من الأمراء في هذا المنصب ، فقد أشرك السلطان حسن بن الناصر محمد (٧٤٨ – ٧٥٢هـ / ١٣٤٧ – ١٣٥١م) [٢] كلاً من سيف بن فضل [٣] وعمر بن موسى بن مهنا [٤] في تولي إمرة العرب ، كما جعل السلطان علي شعبان بن حسين بن الناصر محمد (٧٧٨ – ٧٨٣هـ / ١٣٧٦ – ١٣٨٦م) [٥] الإمرة مناصفة بين معيقل بن فضل بن عيسى [٦]

---

(١) ابن الوردي : تتمة المختصر ، ٢ / ٤٧٩ ، ٤٨٢ ؛ المقريزي :السلوك ، جـ٢ ، ق٣ / ٦٢٣ – ٦٣٧ .

(٢) هو : الملك الناصر ناصر الدين حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ، تسلطن بعد أخيه السلطان حاجي سنة ٧٤٨هـ ، وخلع بأخيه الملك الصالح صالح سنة ٧٥٢هـ ، وعاد إلى السلطنة ثانياً سنة ٧٥٥هـ واستمر حتى قتل سنة ٧٦٢هـ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤ / ٢٢٤ ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ٥ / ١٢٥ ؛ مورد اللطافة، ٢ / ٨٥ – ٩٤

(٣) هو : الأمير سيف الدين سيف بن فضل بن عيسى ، ولي إمرة آل فضل بعد ابن عمه أحمد بن مهنا ، كان مطاعاً في الدولة مشاراً إليه ، أسره عمر بن موسي ، ثم أطلق سراحه ، قتل سنة ٧٦٠هـ ، قتله عمر بن موسي . الصفدي : أعيان العصر ، ٢ / ٤٩٦ ، ٤٩٧ .

(٤) هو : الأمير عمر بن موسي بن مهنا الملقب بالمصمع ، أمير العرب ، قبض عليه سنة ٧٦٢هـ وقيد في الأغلال إلى الديار المصرية . ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤ / ٢٨٨ .

(٥) هو: الملك المنصور علاء الدين علي بن الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون تسلطن بعد خلع والده في حياته سنة ٧٧٨هـ ، وعمره سبع سنين ، واستمر حتى توفي سنة ٧٨٣هـ . المقريزي : الخطط ، ٢ / ٢٤٠؛ ابن تغري بردي: مورد اللطافة ، ٢ /١٠٤ – ١٠٦ ،

(٦) هو : معيقل بن فضل بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة أمير العرب من آل فضل، ولي الإمرة شريكاً لابن عمه زامل ، وكان حسن السيرة ، مات بأرض برقع في الشام، وكان عمره حوالي سبعين سنة. ابن حجر: الدرر الكامنة، ٤ / ٣٥١ ، ٣٥٢.

وبين زامل بن موسى بن مهنا بن عيسى [١] ، ثم عزلا وأعطيت للأمير نعير بن حيار بن مهنا [٢] مناصفة بينه وبين ابن عمه زامل بن موسى وذلك سنة ٧٨١هـ (١٣٧٩م) [٣] .

٣- الإقطاعات والامتيازات :

حددت الإقطاعات والامتيازات والهدايا التي كانت تعطى لمن يتولى منصب أمير العرب علاقة هذا المنصب بالسلطة الحاكمة . فقد منح سلاطين المماليك الإقطاعات والامتيازات المشروطة لأمراء العرب ، مقابل مهام يكلفون بها ، من حراسة الطرق ومعاقبة قطاعها ، وتأمين الخيل الأصيلة للسلطان ، وتأمين الفرسان كخيالة ثانوية في الجيش المملوكي [٤] .

وكانت الإقطاعات التي تمنحها الدولة لأمراء العرب تعد ملكاً مؤقتاً لهم ، يستغلونها حسبما يشاؤون ، فتتنازل الدولة عن هذه الإقطاعات وتقسمها على أمراء العرب في بلاد الشام تبعاً لمكانتهم لدى السلاطين المماليك ؛ وأن يكون دخلها كافياً لسد حاجتهم ، يغنيهم عن اللجوء إلى الأساليب التي كانوا

---

(١) هو : الأمير زين الدين زامل بن موسي بن مهنا ، ولاه السلطان الأشرف شعبان الإمرة سنة ٧٧٠هـ عوضاً عن حيار بن مهنا ، مات سنة ٧٦١هـ . ابن حجر : الدرر الكامنة ، ٢ / ١١٢ ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ٥ / ٣٦٢ .

(٢) هو : الأمير شمس الدين محمد بن حيار بن مهنا بن عيسى بن مانع بن حديثة أمير آل فضل ويعرف بنعير ، ولي الإمرة بعد أبيه ، رافق نعير الأمير منطاش في الفتنة ، فغضب عليه السلطان برقوق وطرده من البلاد ، وعاد بعد وفاة برقوق على إمرته ، قتل سنة ٨٠٨هـ . ابن ناصر الدين : توضيح المشتبه في ضبط اسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٣م ، ٣ / ٤٨٣ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ٥ / ٥٠٢ .

(٤) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق٢ / ٤٥٢ ، ٤٥٣؛ مصطفي الحياري : الإمارة الطائية الطائية ، ص١١٩ .

يتبعونها من سلب ونهب واعتداء على القوافل بأنواعها [١] .

وقد كانت الإقطاعات لأمراء العرب جزءًا من النظام الإقطاعي المملوكي الذي كان يشرف عليه ديوان الجيش ، ولم يكن نظام الإقطاع وراثياً كما كان زمن الأيوبيين ، إذ كان بإمكان السلطان المملوكي أن يستعيد ما أعطى من إقطاعات ، ثم يعيد توزيعها بالشكل الذي يراه مناسباً ، وقد وجد في العصر المملوكي ديوان خاص بإقطاعات أمراء العرب المأخوذة منهم عرف باسم " ديوان المرتجع من أخباز العرب " وله ناظر خاص براتب معين ، وعنده كاتب لمساعدته . لكن ذلك لم يمنع بعض العربان من التحايل على النظام في حالة وفاة صاحب الإقطاع منهم ، حيث كانوا يرشون صاحب الديوان ويقومون بتركيب اسم على اسم بغير الرسم المقرر [٢] .

ويبدو أن إقطاعات أمراء العرب في بداية دولة المماليك ، كانت قليلة ومقتصرة على الأمراء الكبار ، فمثلاً لا يذكر في بداية عصر المماليك سوى إقطاع عيسى بن مهنا وإقطاع أحمد بن حجي ، وعدد آخر من الأمراء المشهورين [٣] . ثم أخذت هذه الإقطاعات في الزيادة بتزايد عدد الأمراء العرب الصغار منهم والكبار [٤].

---

(١) العزاوي : تاريخ العراق ، ١ / ٤٦٦ .

(٢) أبو الفدا : المختصر ، ٤ / ١٤٤ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ٨ / ١٩٦ ؛ ابن أيبك : الدر الفاخر، ص ١٦٦؛ ابن فضل الله العمري : التعريف ، ص٨٨ ، ٨٩ .

(٣) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، ١ / ٤٨٥ .

(٤) والدليل على ذلك توزيع الاقطاعات على أمراء العرب من آل فضل ، حيث اقطعت بلدة سليمة لعيسى بن مهنا سنة ٦٥٨هـ ، والمعرة لمحمد بن عيسى سنة ٧١٦هـ بناءً على طلبه ، وتدمر لعيسى بن مهنا ، ودومة لمهنا بن عيسى سنة ٧٣٤هـ ، وأعطيت لأولاده من بعده ، وكذلك أعطيت له سرمين ، وكانت زرعاً من إقطاع سيف بن فضل . انظر : اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، ٤ / ٢٣١؛ أبو الفدا : المختصر ، ٤ / ٧١ ، ٨٠ ؛ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار : ٤ / ١٦١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٣ / ٢٢١ ؛ المقريزي : السلوك : جـ٢ ، ق١ / ١٤٤ ، ق٢ / ٦٤٤.

وقد كانت الإقطاعات تمنح لأمراء العرب نظير مهام يكلفون بها – كما ذكرنا– أو نظير مشاركة فعالة في المعارك ، فيذكر أن السلطان قطز (٦٥٧-٦٥٨هـ / ١٢٥٨-١٢٥٩م)[١] أقطع سلميّة [٢] في شمال سوريا للأمير عيسى بن مهنا بن مانع أمير آل فضل لجهوده في معركة عين جالوت [٣] ٦٥٨هـ (١٢٦٠م) ، وعندما أصدر السلطان الظاهر بيبرس منشوراً بتولية عيسى بن مهنا أميراً على عرب الشام سنة ٦٥٩هـ (١٢٦٠م) ثبته في إقطاعاته، وأرضى الأمراء المنافسين له بإقطاعات وعطايا [٤] .

وكان بعض سلاطين المماليك يمنحون الإقطاعات لأمراء عرب الشام لكسب ودهم وإبقائهم على الطاعة ، كما فعل الناصر محمد بن قلاوون عندما منح " معرة النعمان " التابعة لمملكة حماة [٥] للأمير محمد بن عيسى بن مهنا [٦] أمير آل فضل سنة ٧١٦هـ (١٣١٦م) [٧] .

---

(١) هو : السلطان سيف الدين قطز بن عبد الله ، من مماليك السلطان المعز أيبك ، وكان بطلاً شجاعاً مقداماً حازماً حسن التدبير ، ولى السلطنة سنة ٦٥٧هـ ، وقتل في نفس العام على أيدى أصحابه من المماليك . أبو الفدا : المختصر ، / ٢٠٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ،١٣ / ٢٢٥ ؛ المقريزي : السلوك جـ ١ ، ق ٢ / ٤٣٥ .

(٢) سليمة : بليدة من أعمال حماة ، وكانت تعد من أعمال حمص . ياقوت : معجم البلدان ، ٣ / ٢٤٠ .

(٣) عين جالوت : يقع وادى جالوت إلى الغرب من بحيرة طبرية المطلة على وادى نهر الأردن حيث تقع بلدة تعرف باسم عين جالوت ، وهي بين نيسان ونابلس من أعمال فلسطين . ياقوت : معجم البلدان ،٤ /١٧٧.

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ٤ / ٢١٣ ؛ المقريزي : السلوك ، جـ١ ، ق٢ / ٤٥٦ .

(٥) حماة : مدينة في شمال الشام قريبة من حلب وحمص . ياقوت : مصدر سابق ، ٢ / ٣٠٠ .

(٦) هو : شمس الدين محمد بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضية بن فضل فضل بن ربيعة ، أخو الأمير مهنا بن عيسى ، توفي بسلمية سنة ٧٢٤هـ عن نيف وستين سنة ، كان حسن الهيئة عاقلاً ، حازما . ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤ / ١١٦ ؛ المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق١ / ٢٥٨؛ ابن حجر : الدرر ، ٤ / ١٣١ .

(٧) أبو الفدا : المختصر ، ٤ / ٨٠ .

وكما أن منح الإقطاعات لأمراء العرب يؤدي إلى كسب ودهم وبقائهم على الطاعة ، كان خروج هذه الإقطاعات عنهم ومصادرتها يؤدي إلى آثار سيئة تؤثر على العلاقة بين أمراء العرب والسلاطين ، وعودة القبائل إلى حياة السلب والنهب والتعرض لقوافل الحجاج والتجارة ، لأنهم فقدوا مورداً ثابتاً كان يأتيهم من دخل هذه الإقطاعات ، خاصة أن مواردهم القديمة – من إبل وغنم – لم تكن كافية لسد احتياجاتهم بعد أن تعودوا على حياة الرفاهية التي نتجت عن منحهم هذه الإقطاعات . لذلك لم يكن مستغرباً أن يهدد أمراء العرب باللجوء إلى أعداء الدولة – المغول – لأخذ إقطاعاتهم . فنجد موسى بن مهنا أمير آل فضل يرسل حاجبه إلى السلطان مُحذراً من خروج عربانه عن الطاعة ولجوئهم إلى قطع الطريق ، وإذا سيّر العساكر إليهم ، فإنهم سيلجؤون إلى المغول أعداء الدولة ، وذلك عندما أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٧هـ (١٣٣٦م) نائبي الشام وحلب [١] بمصادرة إقطاع آل فضل ومنحها لأمير بني عقبة ، فسار السلطان وطيب خاطر موسى بن مهنا وكتب إلى نائبيه بإعادة إقطاعهم على ما كان عليه ، قائلاً : " أرجع لهم إقطاعاتهم، ونحن نعوض الأمراء ونرضيهم " [٢]. فلم يكن بإمكان السلطة المملوكية، بعد أن ربطت أمراء العرب بالإقطاعات بصورة رسمية أن تتبع طريقاً آخر . فخروج أمير العرب عن الطاعة كان يعني خروج قبيلته جميعها وربما حالفتها قبائل أخرى ، الأمر الذي يؤدي إلى الكثير من المشاكل التي كانت السلطة في غنى عنها [٣] .

وبالإضافة إلى منح أمراء العرب الإقطاعات كانت تقدم لهم الهدايا

---

(١) حلب : مدينة عظيمة في بلاد الشام ، ولها قلعة حصينة يضرب بها المثل في الحسن والحصانة . ياقوت : معجم البلدان ، ٢ / ٢٨٢ – ٢٨٥ ؛ البغدادي : مراصد الاطلاع، ١ /٤١٧ .

(٢) اليوسفي : نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر ، تحقيق أحمد حطيط ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ، ص٣٣٨ .

(٣) مصطفي الحياري : الإمارة الطائية ، ص١٢٥ .

من قبل السلاطين في العديد من المناسبات ، ففي سنة ٦٩٢هـ (١٢٩٢م) منح السلطان الأشرف خليل أمير عرب الشام مهنا بن عيسى الهدايا الثمينة والأقمشة الحريرية بمناسبة زواج إحدى بناته [١].

وكان السلطان الناصر محمد يغدق على أمراء العرب وعلى نسائهم الأموال ويمنحهم العطايا الثمينة ، ولبسوا في أيامه الحرير المطرز وأطواق الذهب والأساور المرصعة بالجواهر واللؤلؤ ، حتى قال أحد أمراء آل فضل مداعباً السلطان " لقد أفسدت علينا نسواننا " تعبيراً عن كثرة ما غمرهن به السلطان من المال [٢] . كما كان يمنحهم الأموال حتى في أوقات احتياج الدولة للمال ، فقد أنعم السلطان الناصر محمد على أمير العرب موسى بن مهنا بمبلغ كبير من المال رغم سوء الحالة الاقتصادية للدولة ، مما أثار احتجاج البعض على السلطان ومنهم عامل الخراج ، الذي عبّر عن امتعاضه تجاه تصرف السلطان بقوله : " خاطرت بروحي في تحصيل الأموال ، وهو يفرقها " [٣] .

كما كافأ السلطان لاجين (٦٩٦–٦٩٨هـ / ١٢٩٦–١٢٩٨م)[٤] أمير العرب مهنا بن عيسى بالمال والهدايا " وطرد وحش " [٥] لمودة كانت

(١) المقريزي : السلوك ، جـ١ ، ق٣ / ٧٨٣ .

(٢) المقريزي : نفس المصدر، جـ٢ ، ق٢ / ٥٢٩ ، ق٣ / ٨٩٦ ؛ ابن تغري بردي : النجوم ، ٩ / ١٦٨ .

(٣) المقريزي : مصدر سابق ، جـ٢ ، ق٢ / ٤٣٢ ، ٤٤٥ .

(٤) هو : الملك المنصور حسام الدين لاجين ، من مماليك السلطان المنصور قلاوون، ترقى في الخدمة حتى ولى نيابة دمشق سنة ٦٧٩هـ ، ثم عزل عنها ، ولما ملك السلطان كتبغا جعله نائباً في مصر ، فوثب عليه وخلعه من الملك وتسلطن هو سنة ٦٩٦هـ ، وكان لاجين من أعقل الناس وأحسنهم ، توفي سنة ٦٩٨هـ مقتولاً . بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، ٩ / ٣٣٤ – ٣٤٩ ؛ الصفدي: أعيان العصر، ٤ / ١٦٥– ١٦٨ ؛ ابن تغري بردي : مورد اللطافة ، ٢ /٥١ – ٥٥.

(٥) طرد وحش : نوع من قماش حرير منقوش بمناظر الصيد والطرد . وكانت تصنع منه بعض الملابس السلطانية . سعيد عاشور : العصر المماليكي ، ص٤٣٩ .

بينهما [١] .

وكان أمراء العرب في المقابل يقدموا للسلاطين أجود الهدايا من الخيول الأصيلة والإبل ، ففي سنة ٧١٥هـ (١٣١٥م) قدم الأمير محمد بن عيسى على السلطان الناصر محمد وقدّم له فرساً أصيلة بلغ ثمنها نحو ثلاثمائة ألف درهم ، فدفع السلطان ضعف ثمنها وخلع على محمد بن عيسى، وأرسل إلى أخيه مهنا بن عيسى اثنى عشر ألف دينار، ومائتي الف درهم[٢]، كما قدّم أمراء عرب آل فضل للسلطان الناصر محمد بن قلاوون مئات من الإبل بمناسبة سفره إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج [٣] . كذلك لما قدم الأمير سيف بن فضل لتهنئة السلطان حاجي(٧٤٧-٧٤٨هـ /١٣٤٦-١٣٤٧م)[٤] بالسلطنة سنة ٧٤٧هـ (١٣٤٦م) قدم له عدداً من الخيول الأصيلة [٥] .

٤- تشجيع الدولة المملوكية لتحالفات القبائل العربية :

عند مجيء المماليك كحكام لبلاد الشام سمحوا بتكون أحلاف قبلية بين أعراب الشام للقيام بحفظ الأمن من الأخطار الخارجية التي تهدد البلاد ؛ وكانت تلك الأحلاف والتكتلات نابعة من الأعراب أنفسهم ، وبتشجيع من المماليك أحياناً [٦] .

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم ، ٩ / ١٦٨ .

(٢) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق١ / ٤٤٤ .

(٣) المقريزي : نفس المصدر والجزء ، ص٣٥٠ .

(٤) هو : الملك المظفر حاجى بن الناصر محمد ، ولد سنة ٧٣٢هـ وأبوه في الحجاز فسمى حاجى ، تسلطن بعد خلع أخيه الكامل شعبان سنة ٧٤٧هـ فانتظمت له الأحوال ، وسكنت الفتن ، ثم قبض على جماعة من أولاد الامراء فنفرت القلوب منه ، وقاموا عليه ، وقتلوه سنة ٧٤٨هـ . ابن تغري بردي : مورد اللطافة ، ٢ / ٨٢ – ٨٤ ؛ النجوم ، ١٠ / ١٤٨.

(٥) المقريزي : مصدر سابق ، جـ٢ ، ق٢ /٧١٥ – ٧٢٠ .

(٦) كثرت الأحلاف القبلية بين عرب الشام ، وكان من أهمها : تخالف آل فضل مع آل بشار في أرض الجزيرة الفراتية وحلب . وفي حمص تحالف بنو خالد مع آل فضل وانضمت إليهما قبائل صغيرة مثل : زغب والحريم وكلب ، وقد تحالف مع آل مرا في حوران والجولان قبائل حارثة وبنو لام ، ومدلج ، وآل ظفير، والمفارجة . وتحالف ثعلبة مع النعيميين من =

ولما كان أعراب آل فضل يحتلون مكانة سياسية مرموقة لدى المماليك، فقد انضوت تحت لوائهم العديد من القبائل بتشجيع من سلاطين المماليك ، فقد تنبه السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى قبيلة بني كلاب [١] لقوتهم وموقعهم الجغرافي ، فشجع تحالفهم مع آل فضل ، كما أمَّر عليهم أميراً من آل مهنا هو سليمان بن مهنا ، فأصبحوا تحت خفارته ، كما ألحق الناصر محمد بني عقبة بأمراء آل فضل تارة ، وبأمراء آل على تارة أخرى[٢].

وبعد وفاة الناصر محمد ، وفي ظل الفوضى السياسية ، وتولى الحكم سلاطين ضعاف ، توالى على أمرة العرب عدد من الأمراء إلا أن الأمير أحمد بن مهنا [٣] تمكن من توحيد الأعراب خلف واحد قبل وفاته سنة ٧٤٩هـ (١٣٤٨م) [٤] .

=بدو الكرك ، ومع بني عمرو . ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار : ٤ / ١٥٨ ، ١٥٩؛ القلقشندي : صبح الأعشى : ٤ / ٢٣٩ ؛ قلائد الجمان ، ص٧٩ ، ٨٠ ؛ نهاية الأرب ، ص١١٠ ،

(١) بنو كلاب : عرب أطراف حلب والروم ، وهم أشد العرب بأساً وأكثرهم ناساً ، ولكنهم لا يدينون لإمرئ منهم يجمع كلمتهم . ابن فضل الله العمري : مصدر سابق ، ٤ / ١٧٨ ، وهم بطن من عامر بن صعصعة وكانت ديارهم في جهات المدينة المنورة ، ثم انتقلوا إلى الشام .القلقشندي : نهاية الأرب ص٤٠٧ .

(٢) ابن فضل الله العمري : مصدر سابق ، ٤ / ١٧٩ ؛ ابن خلدون : العبر ، ٦ / ١٨ ؛ القلقشندي : قلائد الجمان ، ص٩٥ .

(٣) هو : شهاب الدين أحمد بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضية بن فضل بن ربيعة أمير العرب ، ولد سنة ٦٨٤هـ ، وولي إمرة آل فضل في أيام الناصر محمد ، وصرف عنها ، ثم أعيد إليها ، كان جواداً كريما ، خيّراً ، جيد المعاملة ، وفيّاً بالعهد ، لم يكن في أولاد مهنا مثله في العقل والسكون والديانة ، توفي بسلمية سنة ٧٤٩هـ . ابن حجر : الدرر الكامنة : ١ / ٣٢١ ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ٢ / ٢٢٥ .

(٤) القلقشندي : قلائد الجمان ، ص٧٩ .

خامساً : دور أمراء العرب في السياسة الداخلية لبلاد الشام :

كانت سياسة المماليك قائمة على الانفراد بالسلطة ، غير أن هذه السياسة لم تتجاهل أمراء عرب الشام ، ففي الوقت الذي انشغل فيه المماليك بمواجهة أعراب مصر والفتن الداخلية التي شهدتها القاهرة ، كان أمراء عرب الشام لهم دور مهم في السياسة الداخلية إلى حد ما ، ويتضح هذا الدور من خلال تدخلهم أحياناً في سياسة الدولة ، وصراعهم مع بعضهم على منصب إمرة العرب ، وقيامهم بحركات التمرد والعصيان ضد الدولة ، ثم موقفهم من حركات وتمرد وعصيان أمراء المماليك في بلاد الشام .

١ – تدخل أمراء عرب الشام في سياسة الدولة :

أكسبت إمرة العرب الأمراء الذين تولوها أهمية عند سلاطين المماليك ، وكانوا يثقون بهم ، ولا يستمعون إلى تحريض الأمراء ضدهم ، فالسلطان الناصر محمد بن قلاوون أجاب علي أحد الأمراء الذين حرضوه على الأمير مهنا بن عيسى وأولاده بقوله " احذر أن تذكر شيئاً من هذا فمثل مهنا وأولاده لا يفرط فيهم " [١] .

وكان لأمراء العرب في الشام نفوذ قوي في الدولة المملوكية ، إذ كان السلطان يستجيب لمعظم مطالبهم ، واستغلوا هذا النفوذ في تحقيق بعض الأعمال التي تزيد من مكانتهم بين الناس ، فقد كان لهم كما قال العمري [٢] : " ... المكانة العلية ، والشفاعات المقبولة في استخدام الوظائف ، وترتيب الرواتب ، وإقطاع الجند ، والإطلاق من السجون ... والدخول عليه (السلطان) في المحافل والخلوات ، وملازمته أكثر الأوقات " .

ولا نستطيع أن نحدد بدقة المدى الذي وصل إليه تدخل أمراء عرب

---

(١) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق١ / ٧٢ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ، ١ / ٢١٦ ؛ العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ١ / ٤٦٨ .

(٢) مسالك الأبصار : ٤ / ١٧٥ ، ١٧٦ .

الشام في شؤون الدولة ، لكن المعلومات القليلة المتوفرة لدينا تدل على وجود هذا التدخل ، فقد كان الأمير مهنا بن عيسى يتدخل لقضاء حوائج الناس وينعم عليهم ويتصدق على من يقصده ، فكان كما ذكر العمري [١] : " إذا حضرت للمسلمين نصيحة أو مصلحة كان مهنا ينبه عليها ويشير بها ، فكان السلطان يقبل نصحه ويعرف ديانته ... " .

ولم يقتصر تدخل أمراء عرب الشام على قضاء حوائج الناس ، بل كانوا يتدخلون في شؤون السلاطين ، وذلك بالشفاعة لديهم للإفراج عن الأمراء المسجونين وإثنائهم عن قراراتهم ، وكان السلاطين يستجيبون لهم في معظم الأحيان ، ففي سنة ٧٠٩هـ (١٣١٠م) قدم الأمير مهنا بن عيسى على رأس وفد من أمراء العرب لمقابلة السلطان الناصر محمد ، وعرض عليه الأمير مهنا أن تكون نيابة حلب للملك المؤيد عماد الدين [٢] وشفع كذلك في بعض الأمراء المسجونين ، فأجابه السلطان إلى طلبه [٣] .

وفي سنة ٧١١هـ (١٣١٢م) أرسل الأمير مهنا بن عيسى أحد أولاده إلى مصر ليطلب من السلطان العفو عن الأمير قراسنقر [٤] فقبل السلطان وساطة الأمير مهنا [٥] . كما شفع الأمير موسى بن مهنا أثناء وجوده في

---

(١) مسالك الأبصار ، ٤ / ١٦٤ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٧ / ٣٦٣ .

(٢) هو : الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن علي بن محمد بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادي صاحب حماة ، ولد سنة ٦٧٢هـ ، وله مصنفات كثيرة منها تاريخه (المختصر) ، توفي سنة ٧٣٢هـ . ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ٢ / ٣٩٩ .

(٣) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق١ / ٧٢ ، ٧٨ ، ٨٨ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ٩ / ١٧.

(٤) هو : قراسنقر الجوكندرا المنصوري ، أنابه الملك المنصور قلاوون عنه في حلب ، مات في شوال سنة ٧٢٨هـ . الصفدي : الوافي بالوفيات ، ٢٤ / ١٥٩ – ١٦٥ .

(٥) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق١ / ١٠٩ ، ١١٠ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ٤ / ٣٧٠ .

مصر سنة ٧٣٨هـ (١٣٣٨م) في عدد من الأمراء المسجونين هناك وكان عددهم حوالي خمسة وثلاثين أميراً ، فقبل السلطان شفاعته وأطلق سراحهم [١] . وفي سنة ٧٥٦هـ (١٣٥٥م) قدم الأمير فياض بن مهنا إلى القاهرة ومعه الهدايا الثمينة ، فأكرمه السلطان الناصر حسن وأجريت له الرواتب ، وشفع هذا الأمير عند السلطان لعدد من الأمراء المسجونين في مصر منهم بعض أقاربه ، فأفرج عنهم تقديراً لوساطته [٢] . فنجد أن قبول شفاعة أمراء عرب الشام يدل على قوة نفوذهم ، ويعكس ما كانوا يحظون به من احترام وتقدير .

وكان أمراء عرب الشام يلجأون في بعض الأحيان إلى الضغط على السلطة الحاكمة من أجل العدول عن قرارتها ، مثلما رضخ السلطان الصالح إسماعيل سنة ٧٤٣هـ (١٣٤٣م) لتهديدات الأمير سليمان بن مهنا باستخدام القوة في حالة عدم عودته إلى منصب الإمارة والإفراج عن أخيه فياض ، فاستجاب السلطان لطلبه [٣] . هذا بالإضافة إلى مكانة أمراء العرب بين علماء الشام وقبول نصائحهم ، وتوسط أمراء العرب أحياناً للإفراج عن هؤلاء العلماء [٤] .

---

(١) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق٢ / ٤٥٥ .

(٢) المقريزي : نفس المصدر والجزء ، ق٢ / ٩١٧ ، ٩١٨ ، جـ٣ ، ق١ / ٢١ .

(٣) المقريزي : نفس المصدر ، جـ٢ ، ق٣ / ٦١٨ ، ٦٢٩ .

(٤) كان أمراء آل فضل على علاقة طيبة مع الشيخ أحمد بن تيمية الذي كان له عندهم منزلة وحرمة ويسمعون قوله ، وكان ينهاهم عن الغارة على بعضهم وعلى غيرهم . وقد شفع الأمير مهنا بالشيخ أحمد بن تيمية عندما كان مسجوناً في القاهرة ، فأخرجه السلطان من السجن كما تمكن الأمير سيف بن فضل سنة ٧٥٠هـ من مصالحة اثنين من كبار علماء الشام هما : قاضي القضاة تقي الدين السبكي والشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية . ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤ / ٤٥ ، ١٧٢ ، ٢٣٢ ؛ ابن أيبك : الدر الفاخر ، ص ١٥٠ ، ١٥١ ؛ المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق١ / ٣٩ ، ٤٠ .

٢- الصراع على منصب إمرة العرب :

لم تكن العلاقة بين قبائل الشام كلها ودٌّ وانسجام ، بل تخللتها خلافات وصلت إلى حد الاقتتال على منصب إمرة العرب ، وكان أبرز صراع قبلي في بلاد الشام خلال فترة المماليك البحرية ، هو ذلك الذي نشأ بين آل فضل وآل علي وآل مِرَا ، ففي سنة ٦٦٣هـ (١٢٦٥م) وقعت الفتنة بين الأمير عيسى بن مهنا وابن عمه الأمير زامل بن علي بن حديثة على منصب إمرة العرب ، ولكن الأمير عيسى خرج من هذا النزاع ظافراً إثر وقوف السلطان الظاهر بيبرس إلى جانبه ، واعتقاله زامل بن علي ونقله إلى القاهرة فسجن هناك ، ولكن السلطان ما لبث أن أفرج عنه ، وأصلح بينه وبين الأمير عيسى بن مهنا ، ورغبة من السلطان في إرضاء زامل أعاد له بعض إقطاعه ، غير أن الأمير زامل عاد مرة أخرى لمهاجمة الأمير عيسى وقطع الطريق على بعض رسل السلطان وأخذ منهم الكتب ، وأطمع المغول في بلاد الشام ، ثم امتد أذاه إلى بلاد الحجاز ، ولما بلغه أن السلطان أعطى إقطاعه لأحد إخوته ، ندم على فعله وراسل السلطان يطلب منه العفو فأجابه السلطان إلى طلبه وأعطاه الأمان ، غير أنه حضر إلى السلطان بعد المدة التي حددها له ، فقبض عليه وسجنه [١] .

وقد كان للدولة المملوكية دور في الفتن والصراعات التي تحدث بين أمراء العرب بسبب منصب الإمرة ، ففي سنة ٧٤٥هـ (١٣٤٥م) استعان المماليك بآل علي وآل مِرَا وبني كلاب وآل فضل بن عيسى لطرد الأمير مهنا بن عيسى وأهله من البلاد ، فطردوه وأخذوا منه إمرة العرب وأعطوها للأمير سيف بن فضل ، الأمر الذي أدى إلى قيام آل مهنا بالفتنة فقبض على أحمد بن مهنا ؛ فأخذ أخوه في جمع العرب للهجوم على دمشق وإطلاق سراح أخيه

(١) أبو الفدا : المختصر ٤ / ٣ ؛ ابن خلدون : العبر ، ٥ / ٥٠١ ؛ المقريزي : السلوك : جـ١ ، ق٢ / ٥٣٥ ، ٥٣٦ ؛ العيني : عقد الجمان ، ١ / ٤٠٨ ، ٤٠٩ ،

، ولم تخمد هذه الفتنة حتى هَزَم آلٌ مهنا ومن كان معهم من العرب ، سيفَ بن فضل ومن كان معه من آل مِرَا وآل علي ، وأعيد الأمير أحمد بن مهنا إلى الإمرة [١] .

ونتيجة لتزايد نفوذ أمراء العرب وكثرة صراعاتهم على منصب الإمارة وإثارتهم للفتن بدأت الدولة المملوكية منذ منتصف سنة ٧٣٦هـ (١٣٤٦م) في تقليص نفوذهم ببلاد الشام ، وانتزعت من أيديهم إقطاعات وأملاكاً كثيرة وجعلتها خاصة ببيت المال [٢] .

فنجد أن الصراعات على منصب إمرة العرب أدت إلى الفتن والفوضى الأمر الذي أثر على السياسة الداخلية للدولة المملوكية في بلاد الشام .

٣- تمرد وعصيان أمراء العرب :

كان استخدام العنف من قبل السلطة المملوكية ضد أمراء عرب الشام ، والقبض عليهم وعلى أبنائهم ، وطردهم من البلاد أحياناً ، ونقل إمرة العرب من أمير لأمير ، وانعدام الثقة أحياناً بين السلاطين وأمراء العرب ، فضلاً عن انشغال السلطة المملوكية بمشاكلها الداخلية ، وما كان يهددها من أخطار خارجية ، كل هذا ساهم في توفير المناخ المناسب لأمراء عرب الشام في القيام بحركات التمرد والعصيان ، والخروج على السلطة الحاكمة ، وتأثير ذلك علي السياسة الداخلية في بلاد الشام . ومن المناسب الوقوف على بعض مظاهر هذا التمرد لمعرفة أسبابه ، والتدابير والإجراءات التي اتخذتها السلطة المملوكية تجاهه.

فعندما قام السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٧٠هـ (١٢٧١م) بالقبض على أولاد بعض أمراء آل فضل واحتجازهم رهائن لديه ، ولم يقدر السلطان

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ٦ / ١٤ ؛ المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق١ / ١٣١ ، ١٣٢ ، ق٢ / ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ق٣ / ٧٣٤ ، ٧٥٩ .

(٢) ابن الوردي : تتمة المختصر ، ٢ / ٤٨٩ .

دور آل فضل في استرداد القلاع والحصون التي استولى عليها الصليبيون ، غضب أمراء العرب من هذا التصرف وهددوا بقطع الطرق واللجوء إلى المغول انتقاماً من السلطان ، فذهب السلطان إلى الشام ، والتقى بالأمير عيسى بن مهنا ، وأمر بإطلاق سراح أبنائهم (١) .

كما قام السلطان الناصر محمد سنة ٧٢٠هـ (١٣٢٠م) بتضييق الخناق على بعض أمراء عرب الشام غير الموالين له وطردهم ، فأعطى الأوامر لجنده بطرد الأمير مهنا وأولاده من بلادهم ، ونقل إمارة العرب من آل فضل إلى أبناء عمهم آل علي ، فقام أولاد مهنا بتحريض أتباعهم على إثارة الشغب وقطع الطريق ، وأرسل نائب حلب إلى السلطان يخبره أن ابني مهنا (سليمان وفياض) اعتديا على التجار من المسافرين وأخافوهم ، مما أدى إلى انقطاع الطرق التجارية في بادية الشام ، فاستعد نائب حلب وجهز عسكره لقتالهما ، وقد تمكن نائب حلب من ملاحقة الأعراب المشاركين في هذا التمرد واعتقال فياض بن مهنا وأرسله إلى القاهرة وسجنه هناك (٢) .

وعقب وفاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٤١هـ (١٣٤١م) أصيبت الدولة المملوكية بالضعف السياسي لتولي أمورها سلاطين وقعوا تحت تأثير كبار أمراء المماليك ، فانعكست خلافات هؤلاء الأمراء على أعراب الشام الذين كان لديهم الدافع لإثارة القلاقل في بلاد الشام ، فلم يمض على وفاة السلطان الناصر محمد سوى شهور قليلة حتى جرى القبض على الأمير موسى بن مهنا ، فقام أخواه سليمان وفياض بقطع الطريق على التجار احتجاجاً على اعتقال أخيهما ، وأدركت الدولة الخطر الناجم عن هذا الموقف، فبادرت بإطلاق سراح الأمير موسى بن مهنا سنة ٧٤٣هـ (١٣٤٢م)

(١) النويري : نهاية الأرب ، ٣٠ / ١٨٥ – ١٨٦ .

(٢) أبو الفدا : المختصر ، ٤ / ٨٨ ، ٨٩ ؛ ابن الوردي : تتمة المختصر ، ٢ / ٣٨٥ ؛ المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق١ / ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

وتحليفه على الطاعة للسلطان وعدم التعرض للقوافل التجارية [١] . وقبل أن تهدأ الأمور اعترض الأمير فياض بن مهنا قافلة تجارية كانت قادمة من بغداد إلى الرحبة ، واستولى على كل ما فيها ، وكانت محملة بالكثير من البضائع والأموال لدرجة أنه كان لأحد التجار مائتا ألف دينار [٢] .

وعندما قامت السلطة المملوكية في سنة ٧٤٤هـ (١٣٤٤م) بتعيين الأمير سيف الدين بن فضل أميراً على العرب عقب وفاة ابن عمه سليمان بن مهنا ، لم يرض هذا الإجراء أبناء الأمير مهنا بن عيسى ، وأبدوا تذمرهم منه لأنه سلب منهم حقهم في الإمارة ونقلها بعد وفاة أخيهم سليمان إلى خارج بيتهم ، فخالفوا السلطان ، وقاموا بشن بعض الغارات على عرب الأمير سيف بن فضل ، وقطعوا الطريق على التجار ، وحاول أحدهم وهو الأمير أحمد بن مهنا القدوم إلى السلطان واقناعه برد الإمارة إلى بيت مهنا ، ولكن نائب دمشق منعه من السفر إلى مصر ، فازداد غضبه ، وعمل مع أخيه فياض على إثارة الفتن بالشام ، وحاول الأمير سيف بن فضل إخماد هذه الفتنة ولكنه فشل في ذلك ، حيث قام الأمير فياض بالاشتباك معه وقتل جماعة من أصحابه وأسر أحد أخوته [٣] .

ولما زاد خطر أبناء مهنا والتفَّت القبائل حولهم ، وشنوا الغارات على القرى والمدن ، واعترضوا طريق القوافل التجارية ، وقطعوا الطريق على المسافرين بين نيابات الشام ؛ أدركت السلطة المملوكية أن العنف لا يولد إلا العنف ، لذلك غيرت من سياستها نحوهم ، فطلبت من نائب حلب سنة ٧٤٦هـ (١٣٤٥م) أن يتقرب من أمراء آل مهنا ، فاستدعى الأمير فياض وأكرمه وأحسن معاملته ، وأخذ عليه العهود والمواثيق بعدم التعرض لطرق التجارة

(١) المقريزي : نفس المصدر ، جـ٢ ، ق٣ / ٥٩٣ ، ٦٢٧ ، ٦٢٩ .
(٢) المقريزي : نفس المصدر ، جـ٢ ، ق٣ /٦٣١ .
(٣) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق٣ /٦٥١ ، ٦٥٧ .

والمسافرين ، وتم الاتفاق علي ذلك [١] .

وفي سنة ٧٥٣هـ (١٣٥٢م) قام السلطان الصالح بن محمد بن قلاوون(٧٥٢ – ٧٥٥هـ / ١٣٥١ – ١٣٥٤م) [٢] بعزل الأمير فياض عن إمرة العرب وإسناد الإمرة مرة أخرى إلى الأمير سيف الدين بن فضل أمير آل علي ، مشاركة مع الأمير عمر بن موسى بن مهنا ، فقام الأمير فياض وأخوه حيار بالاستيلاء على أملاك الأمير سيف الدين ، الذي استنجد بعرب بني كلاب ، وهزم أولاد مهنا (فياض وحيَّار) سنة ٧٥٤هـ (١٣٥٣م) ، فأثرت هذه الهزيمة على عرب الأمير فياض فازداد فسادهم ، ونتج عن ذلك تعطل مسير قوافل التجارة داخل بلاد الشام ، وحاول الأمير سيف الدين مقاومة عرب فياض ، لكنه عجز عن ذلك ، فتدخل نائب حلب ، وبعث أحد قواده لتهدئة الفتنة ، ولكن هذا القائد وقع بيد العرب الثائرين فقتلوه ، وألزم نائب حلب أميري آل فضل سيف الدين وعمر بن موسى بالقبض على قتلة قائده ، ولكنهما ادعيا بأن القتلة من عرب الأميرين فياض وحيَّار [٣] .

وفي سنة ٧٥٥هـ (١٣٥٤م) أوكلت السلطة المملوكية للأمير سيف بن فضل مهمة المحافظة على الطرق التجارية ، لكنه عجز عن منع أبناء عمومته آل مهنا من اعتراض القوافل التجارية ونشر الأمن [٤] . فأرسل السلطان أحد رجاله إلى الأمير فياض ، فلما التقى به طمأنه من جانب السلطان ، وما زال به حتى أقنعه بالذهاب معه إلى مصر ، ومقابلة السلطان

---

(١) المقريزي : نفس المصدر والجزء ، ص ٧٩٢ .

(٢) هو : الملك الصالح صالح بن الناصر محمد بن قلاوون ، ولد سنة ٧٣٨هـ وتولي السلطنة سنة ٧٥٢هـ ، وكان مدبر مملكته الأمير طاز الناصري ، خلع من السلطنة سنة ٧٥٥هـ . ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ٥ / ١٢٦ ؛ مورد اللطافة ، ٢ / ٨٦ – ٨٨ .

(٣) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق٣ /٨٩٦ ، ٨٩٨ ، ٩١٧ .

(٤) المقريزي : نفس المصدر والجزء ، ص٨٩٦ .

، فوافق الأمير فياض وجاء إلى القاهرة سنة ٧٥٦هـ (١٣٥٥م) فأكرمه السلطان وأجرى له الرواتب ، غير أن فياض كان يأمل في تولي الإمارة خاصة بعد مقتل الأمير سيف الدين بن فضل على يد شريكه في الإمارة عمر بن موسى سنة٧٥٩هـ (١٣٥٨م) ، لكن السلطان الذي يبدو أن فقد ثقته بالأمير فياض لم يمنحه منصب الإمارة ، فشق الأمير فياض عصا الطاعة مرة أخرى ، وفر إلى العراق ، وظل يهدد طرق التجارة حتى توفى هناك سنة ٧٦١هـ (١٣٦٠م) [١] .

وسار الأمير حيَّار على نهج أخيه فياض ، وظل يهدد الطرق التجارية حتى سنة ٧٦٧هـ (١٣٦٥م) ، حيث حضر إلى دمشق وأعلن الولاء والطاعة للسلطان [٢] .

وعندما قام عرب بني كلاب سنة ٧٧٠هـ (١٣٦٩م) بقطع الطريق الذي يربط بين حماة وحلب ، اشتبك نائب حلب الأمير قشتمر المنصوري [٣] معهم ، وقامت عساكره بنهب بيوتهم ؛ استنجد بنو كلاب بأمير آل فضل حيَّار بن مهنا ، فلبى نداء أبناء عمه ، ولم يرع خاطر السلطان ، ووقع بينه وبين عساكر حلب قتال شديد ، انتهى بمقتل نائب حلب وولده ، وعدد من عساكره ، وفرّ الباقون وكانت هذه الحادثة بحسب وصف أحد المؤرخين " وهناً

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤ / ٣٠٥ ؛ المقريزي : مصدر سابق ، جـ٢ ، ق٣ / ٩١٧ ، ٩١٨ ، جـ٣ ، ق١ / ٢١ ، ٤٦ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ٢ / ١٨٣ ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ٦ / ١٩١ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤ / ٣٤٣ – ٣٦٥ .

(٣) هو : قشتمر المنصوري من بقايا مماليك الناصر محمد بن قلاوون ، تنقل في الخدمة إلى أن تولى نيابة السلطنة في مصر ، ثم نيابة دمشق ، ثم صفد ، ثم أعيد إلى مصر ، وولي نيابة طرابلس ، ثم نيابة حلب ، وقتل فيها سنة ٧٧١هـ . ابن حجر : الدرر الكامنة ، ٣ / ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

في الدولة المملوكية جرّه إليها طمع عسكرها " [١] .

٤ – موقف إمراء العرب من حركات تمرد وعصيان أمراء المماليك:

كان الطامعون في السلطة والثائرون عليها لا يجدون أفضل من بلاد الشام لتكون مركزاً ومنطلقاً لحركاتهم ، فلهذه البلاد طبيعتها الخاصة وموقعها المتميز وإمكانياتها البشرية ، مما جعل منها قوة لمن يتحكم فيها ويسيطر عليها من الثورة على السلطة ، بل والزحف على القاهرة [٢] . ولم يغب أمراء عرب الشام عن أحداث الساحة المملوكية في بلاد الشام ، فقد تراوح موقفهم بين التأييد والمعارضة لحركات التمرد والعصيان والثورات التي قام بها بعض أمراء المماليك ضد سلاطينهم .

وكانت أولى هذه الحركات في سنة ٦٧٨هـ (١٢٨٠م) عندما خرج الأمير سنقر الأشقر [٣] نائب دمشق عن طاعة السلطان قلاوون ، وأعلن نفسه سلطاناً في بلاد الشام ، وكتب إلى أمراء العرب ، فاستجابوا لدعوته ، ووفد عليه الأمير عيسى بن مهنا ، فاستقبله الأشقر وأجلسه إلى جانبه ، كما قدم عليه الأمير أحمد بن حجي أمير آل مِرَا ، فأكرمه وأعز وفادته [٤] .

أدرك السلطان قلاوون خطورة هذه الحركة ، لاسيما بعد تأييد أمراء آل فضل له ، لذلك أعد جيشاً كبيراً للقضاء على سنقر الأشقر ، الذي لم يستطع الصمود أمام هذا الجيش بعد أن خذله عسكره ، وتفرقوا عنه ، ولم يبق معه

---

(١) المقريزي : السلوك ، جـ٣ ، ق١ / ١٧٥ .

(٢) علي السيد علي : القدس في العصر المملوكي ، ط ١ ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، ص٣٨ .

(٣) هو : شمس الدين سنقر الأشقر ، تولى نيابة دمشق سنة ٦٧٧هـ ، وخرج عن طاعة السلطان وأعلن نفسه سلطاناً ، وخطب له على منابر دمشق ، ولكن الجيش المملوكي طرده منها فهرب إلى الرحبة . ابن طولون الصالحي : إعلام الورى ، ص٣٢ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٣ / ٢٩٠ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٧ / ٢٩٤ ، ٢٩٤ ؛ المقريزي : السلوك ، جـ١ ، ق٣ / ٦٧١ – ٦٧٤ .

إلا حليفه الأمير عيسى بن مهنا ، فقام عيسى بأخذه من المعركة ومضى به إلى الرحبة [١] .

وكان لحركة سنقر الأشقر التي أيدها الأمير عيسى بن مهنا وفشلت فشلاً ذريعاً آثارها السيئة على الأمير عيسى فقد قام السلطان قلاوون بعزله عن الإمارة ومصادرة إقطاعه ، فعاد إلى السلطان يعتذر له ، فعفا عنه وأعاده إلى إمارته [٢] . ويبدوا أن تأييد الأمير عيسى بن مهنا لحركة سنقر الأشقر ، كانت رغبة منه في الاستقلال والحد من نفوذ سلطنة قلاوون ، ووفاءً لأبناء السلطان الظاهر بيبرس الذين أبعدهم قلاوون عن الحكم [٣] .

وفي عهد السلطان الأشرف خليل (٦٨٩هـ – ٦٩٣هـ / ١٢٩٠ – ١٢٩٣م) كان لأمراء العرب دور سياسي كبير في أحداث بلاد الشام ، فعندما فوض السلطان الأشرف خليل الإمارة للأمير مهنا بن عيسى بعد وفاة والده ، وأكرمه وقدم له الهدايا بمناسبة زواج ابنته ، لم يقدر الأمير مهنا هذا الصنيع للسلطان ، حيث آوى نائب دمشق الأمير حسام الدين لاجين عقب خروجه على السلطان ، الأمر الذي أغضب السلطان وقام بالقبض على الأمير مهنا وبعض أنبائه ونقلهم إلى مصر ، وإسناد الإمارة إلى ابن عمه الأمير محمد بن أبي بكر من آل علي ، ورغم أن الأمير مهنا وافق على تسليم الأمير حسام الدين لاجين للسلطان ، لكن السلطان كان يحمل في نفسه شيئاً بسبب هذا الموقف ، وظل الأمير مهنا في سجنه أكثر من عامين حتى

---

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، ٤ / ٤٤ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، ١٥ / ٤٩٣ ؛ المقريزي : السلوك ، جـ١ ، ق٣ / ١٧٧ .

(٢) اليونيني : مصدر سابق ، ٤ / ٥٤ ؛ النويري : نهاية الأرب ٣١ / ٧٠ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ٣ / ٢٩٢ .

(٣) محمد صبحي الشناق : أعراب بلاد الشام في عهد المماليك ، رسالة دكتوراه ، جامعة القديس يوسف ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، معهد الآداب الشرقية ، بيروت ، ٢٠٠٠م ، ص١٥٤.

أفرج عنه سنة ٦٩٤هـ (١٢٩٤م) [١] .

وفي سنة ٧١١هـ (١٣١٢م) تمرد نائب حلب الأمير قراسنقر الجوكندار بسبب اتهام السلطان الناصر محمد له بقتل أخيه الأشرف خليل ، فخاف على نفسه من السلطان ، فاستجار بالأمير مهنا بن عيسى ، ولما التقى به اطلعه على كتاب من السلطان يأمر فيه الأمير قراسنقر بالقبض على الأمير مهنا ، فغضب الأمير مهنا ، وأبدى تضامنه مع الأمير قراسنقر ، واتفق معه على العصيان ، وتوجها إلى حلب ، وحاولا الاستيلاء عليها ، إلا أن أمراء المدينة منعوهما من دخولها ، وحاول السلطان كسب ودهما ، فأرسل إليهما بعض الصدقات ، ولكنهما أصرا على مخالفته ، ثم أرسل السلطان إلى قراسنقر يهدده بقدوم العسكر ويطلب منه التراجع عن عصيانه مقابل منحه نيابة في أي منطقة يختارها ، وإذا رفض فإن العساكر ستلاحقه في أي مكان [٢] ، ولكن قراسنقر رفض وسار إلى الفرات يصحبه أربعمائة من مماليكه ، وأقام هناك ، ولكن سرعان ما تخلوا عنه فسار بعضهم إلى العراق وعاد بعضهم إلى السلطان ، فرجع الأمير قراسنقر إلى الأمير مهنا ونزل في ضيافة ابنه سليمان واستجار بوالدته الأميرة عائشة بنت عسّاف فأجارته من السلطان وبالغت في خدمته ، وأرسل الأمير مهنا أحد أولاده إلى مصر ليطلب من السلطان العفو عن الأمير قراسنقر ، فتظاهر السلطان بقبول هذه الوساطة والعفو عن قراسنقر ، بينما أرسل حملة إلى الشام لملاحقته والقبض عليه ،لكن الأمير قراسنقر تنبه للأمر واستطاع الفرار إلى العراق ، واستمر طريداً حتى توفى سنة ٧٢٨هـ (١٣٢٧م) [٣] .

---

(١) أبو الفدا : المختصر ، ٤ / ٢٨ ، ٣٣ ؛ ابن الوردي : تتمة المختصر ، ٢ / ٣٤٤ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٣ / ٣٣٢ ؛ المقريزي : السلوك ، جـ١ ، ق٣ / ٧٨٣ .

(٢) أبو الفدا : المختصر ، ٤ / ٦٤ ، ٦٥ ؛ ابن أيبك الدوادار : الدر الفاخر ، ص ٢١٩ – ٢٢٢ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٩ / ٣٢ .

(٣) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق١ / ١٠٩ ، ١١٠ ؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ، ٤ / ٣٧٠ .

وفي مساندة الأمير مهنا بن عيسى لقراسنقر دلالة على قوة أمراء العرب ، واعتدادهم بأنفسهم ، فها هو الأمير مهنا يقف نداً للسلطان ويقوم بدور الوساطة السياسية ، ويتقن دوره القيادي ويفوت الفرصة على السلطان بالقبض على من استجار به حتى لو أدى ذلك إلى هلاكه (١) .

وكما كان لأمراء عرب الشام دور في مساندة حركات تمرد وعصيان أمراء المماليك في بلاد الشام ، كان لهم دور أيضاً في اجهاض هذه الحركات، ففي سنة ٧٤٠هـ (١٣٤٠م) أرسل السلطان الناصر محمد إلى الأمراء المقيمين بدمشق يطلب منهم القبض على الأمير تنكز الحسامي نائب الشام ، والذي أصبح وجوده يهدد استمرار الناصر محمد في الحكم ، وقد تزامنت هذه التطورات مع قدوم الأمير موسى بن مهنا إلى مصر ، فقرر معه السلطان القبض على تنكز ، فأرسل الأمير موسى كتباً إلى العربان " بأخذ الطرقات من كل جهة على تنكز " (٢) .

ثم خرج موسى بن مهنا لتجهيز العربان وإقامته على حمص ، وفي سبيل الإحاطة بتنكز بشكل جيد ، كتب السلطان الناصر محمد إلى سائر العربان بالإحاطة بالأمير والقبض عليه ، حتى تم له ذلك بمساعدة أمير العرب موسى بن مهنا وباقي العربان (٣) .

وفي سنة ٧٤٧هـ (١٣٤٦م) أعلن نائب دمشق الأمير يَلْبُغا اليحياوي (٤) التمرد والعصيان على السلطان حاجي بن الناصر محمد ، وأخذ

---

(١) محمد صبحي الشناق : أعراب بلاد الشام ، ص١٦٤ .

(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ١٠ / ٤٢٦ ؛ المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق٢ / ٤٩٩ ؛ ابن تغري بردي : النجوم ، ٩ / ١١٣ .

(٣) أبو الفدا : المختصر ، ٢ / ٤٩٣ ؛ الصفدي : الوافي ، ١٠ / ٤٢٧ .

(٤) هو : يلبغا بن طابطا السامي اليحياوي الناصري ، من مماليك الناصر محمد ، وترقى في خدمته وتولى العديد من النيابات ، فقد تولى نيابة حماة ، ثم حلب ، ثم دمشق ، ثم قبض عليه وقتل سنة ٧٤٨هـ . ابن حجر : الدرر ، ٤ / ٤٣٧ ؛ ابن تغري بردي : النجوم ، ١٠ / ١١٨ ؛ ابن طولون : إعلام الورى ، ص٤٥ .

يؤلب أمراء الشام عليه ، فتخوف السلطان منه وكتب إلى نائب حلب يطلب منه تكليف آل مهنا وبقية العربان بقطع طرق البادية الشامية على يَلْبُغا اليحياوي ، وعدم تمكينه من التوجه شرقاً إلى بلاد المغول [١] .

ولما علم يَلْبُغا بذلك حاول الهرب بمماليكه وأثقاله إلى العراق حيث المغول ؛ ولكن دليله البدوي خانه ، حين قاده إلى ديار العربان ، فنهبوا أثقاله وطاردوه عبر البادية ، حتي أجبره مماليكه على التوجه إلى حماة للالتجاء بها من العربان ، ثم قبض عليه وقتل وحزّ رأسه وأرسلت إلى السلطان سنة ٧٣٨هـ (١٣٤٧م) [٢] .

أما عصيان الأمير بيبغاروس الناصرى [٣] في حلب فقد كان في سنة ٧٥٣هـ (١٣٥٢م) حيث أعلن نفسه سلطاناً وتلقب بالملك العادل ، وانضم إليه نائب حماة ، ونائب حمص ، والأمير المعزول حيَّار بن مهنا أمير العرب ، ولما استفحل أمره أرسل إليه السلطان حسن بن الناصر محمد يطلب منه الكف عن تصرفاته وإيقاف عصيانه وهدده بالعزل عن نيابة حلب ، فلم يستجب بيبغاروس للسلطان ، وقرر هو ومن انضم إليه التوجه إلى دمشق

---

(١) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق٣ / ٧٢٠ – ٧٢٣ ، ٧٣٢ ؛ ابن تغري بردي : مصدر سابق ، ١٠ / ١٦١.

(٢) أبو الفدا : المختصر ، ٤ / ١٤٧ – ١٤٨ ؛ المقريزي : مصدر سابق ، جـ٢ ، ق٣ / ٧٣٣ ؛ ابن تغري بردي : مصدر سابق ، ١٠ / ١٦٢ .

(٣) هو : بيبغاروس القاسمى ، أصله من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ومن أعيان خاصكيته ، ثم ولى بعد موت الناصرمحمد نيابة السلطنة في مصر في أول عهد السلطان الناصر حسن ، ثم قبض عليه وحبسه ، ثم أطلقه وولي عدة وظائف منها نيابة حلب ، ثم خرج عن طاعة السلطان وقتل بحلب سنة (٧٥٤هـ/١٣٥٣م) . الصفدي : أعيان العصر ، ٢ / ٨٦ – ٩٣ ؛ الوافي بالوفيات ١٠ / ٣٥٦ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة، ٣ / ٥١١ ، ٥١٢ ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ،٣ / ٤٨٦ ، ٤٨٩ .

لأخذها [١] ، فاتجه نظر السلطان حسن إلى أعراب الشام لمساعدته في ملاحقة بيبغاروس ، فأفرج السلطان عن الأمير فياض بن مهنا من سجنه في القاهرة ، وكلفه بالخروج بعربه إلى العقبة [٢] لمواجهة أي تحرك لبيبغاروس ، وقد وعده بإمرة العرب عوضاً عن حيَّار بن مهنا ، ولم يكتف السلطان حسن بذلك ، بل كتب إلى أمير عرب بني عقبة وأمير بني مهدي ، يطلب منهم الانضمام إلى فياض بن مهنا في العقبة وتحت أمرته [٣] .

واستطاع جيش السلطان بمعاونة أمراء العرب القبض على بيبغاروس وسجنه وقتله سنة ٧٥٤هـ (١٣٥٣م) ، وأنعم السلطان حسن على الأمير فياض بإمرة العرب كما وعده[٤].

وتذكر المصادر التاريخية أن بعض أمراء المماليك ثاروا على نائب حلب سنة ٧٨١هـ (١٣٨٠م) يريدون قتله فخرج إليهم الأمير قارا بن مهنا[٥]، وتمكن من هزيمتهم وأجبرهم على الفرار [٦] . كل ما سبق يؤكد ما كان لمنصب إمرة العرب من دور مهم في رسم السياسة الداخلية في بلاد الشام .

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ٥ / ٩٦٦ ، ٩٦٧ ؛ المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق٣ / ٨٦٨ – ٨٧١؛ ابن تغري بردي : النجوم ، ١٠ / ٢٧٠ – ٢٧٤ .

(٢) العقبة : منزل في طريق مكة بعد واقصة وقبل القاع لمن يريد مكة. ياقوت : معجم البلدان ، ٤ / ١٣٤ .

(٣) المقريزي : مصدر سابق ، جـ٢ ، ق٣ / ٨٢٦ ، ٨٢٧ .

(٤) الصفدي : أعيان العصر ، ٢ / ٩٠ ؛ المقريزي : مصدر سابق ، جـ٢ ، ق٣ / ٨٢٨ ؛ ابن حجر : الدرر ، ٢ / ٤٤ ، ٤٥ .

(٥) هو : الأمير قارا بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع أمير آل فضل ، توفي سنة ٧٨١هـ في حلب . ابن حجر : مصدر سابق ، ٣ / ٢٣٦ .

(٦) ابن خلدون : مصدر سابق ، ٥ / ٥٠٢ ، المقريزي : مصدر سابق ، جـ٣ ، ق١ / ٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦ .

الخاتمة

يتبن من خلال دراسة منصب إمرة العرب وأثره في السياسة الداخلية في بلاد الشام العديد من النتائج ، أهمها :

١- ظهر منصب إمرة العرب بصفة رسمية في عصر دولة المماليك البحرية ، و كان يتم تعيين الأمير بوثيقة رسمية من قبل الأبواب السلطانية ، وكان أمراء القبائل على مراتب متفاوتة من حيث الأهمية ويخاطبون بالعديد من الألقاب حسب مراتبهم ومكانتهم لدى السلطة المملوكية.

٢- كان من مهام أمراء العرب تزويد السلطة المملوكية بما تحتاجه من الخيل والجمال والأغنام.

٣- قام بعض أمراء عرب الشام بمرافقة قوافل الحج تعبيراً عن حرصهم على حفظ طرق الحج ومساعدة الحجاج إلى الوصول للأماكن المقدسة ، وعودتهم سالمين.

٤- خصصت دولة المماليك البحرية قيمة معلومة من المال ترسل لأمراء العرب لتسهيل مرور الحجاج والسهر على أمنهم في منازل الطريق ، وإلزامهم بتوفير الأغنام والعلف ، كما تتعهد كل قبيلة للسلطة المملوكية بتبعات ما يحدث في أراضيها من نهب لقوافل الحجاج .

٥- عملت دولة المماليك البحرية على ربط أمراء عرب الشام بالجهاز الإداري ومنحتهم العديد من الامتيازات من أجل استيعابهم وتوجيه طاقاتهم لصالحها ، وأوكلت إليهم العديد من المهام التي تتوافق مع طبيعتهم البدوية وبيئتهم الصحراوية ، وجعلوهم مسئولين عن أجزاء الطرق التي تمر في مناطقهم ٠ وقد حرص أمراء العرب على تنفيذ المهام التي أوكلها لهم المماليك في حفظ طرق التجارة حتى غدت التجارة مصدراً اقتصادياً مهماً لبلاد الشام.

٦- تنبهت دولة المماليك البحرية إلى قوة أعراب الشام وحجمهم العسكري في بادية الشام الواسعة وذات الموقع الجغرافي المهم في نطاق الدولة ، فعملت على استيعابهم ضمن قوتها العسكرية . كما كان لهم دور في تتبع الأمراء

المماليك الخارجين عن طاعة السلطان.

٧- منحت الدولة لأمير العرب الإقطاعات والامتيازات والهدايا في المناسبات العديدة ، لكسب ودهم وبقائهم على الطاعة ، وكان خروج هذه الإقطاعات عنهم ومصادرتها يؤدي إلى آثار سيئة تؤثر في السياسة الداخلية في بلاد الشام ، حيث عودة القبائل إلى حياة السلب والنهب والتعرض لقوافل الحجاج والتجارة ، لأنهم فقدوا مورداً ثابتاً كان يأتيهم من دخل هذه الإقطاعات .

٨- حدد منصب إمرة العرب علاقة أمراء العرب بسلاطين دولة المماليك البحرية ، فاستغلت الدولة هذا المنصب لفرض سيادتها عليهم وإثبات أحقيتها في اتخاذ القرار السياسي من دون مشاركة الأعراب ، كما أثبت قدرتها على استيعابهم في جهازها الإداري كما خططت ، فربطت تولي هذا المنصب بولاء أمراء العرب لها .

٩- كان لأمراء العرب في الشام نفوذ قوي في الدولة المملوكية ، ويتدخلون أحياناً في قرارات السلاطين الذين كانوا يستجيبون لمعظم مطالبهم ، واستغلوا هذا النفوذ في تحقيق بعض الأعمال التي تزيد من مكانتهم بين الناس .

١٠- ترك منصب إمرة العرب أثراً سلبياً ، تمثل في التنافس الشديد بين أمراء العرب علي تولي هذا المنصب ، وقاد بالتالي إلي ظهور خلافات داخلية ، والتي انتهت بحدوث التنازع الدامي بين أفراد البيت الواحد .

١١- أدي استخدام العنف من قبل السلطة المملوكية ضد أمراء عرب الشام ، والقبض عليهم وعلى أبنائهم ، وطردهم من البلاد أحياناً ، ونقل إمرة العرب من أمير لأمير ،إلي انعدام الثقة بين السلاطين وأمراء العرب ، الأمر الذي وفر المناخ المناسب لأمراء عرب الشام في القيام بحركات التمرد والعصيان ، والخروج على السلطة الحاكمة ، وتأثير ذلك علي السياسة الداخلية في بلاد الشام

١٢- لم يغب أمراء عرب الشام عن أحداث الساحة السياسية المملوكية في بلاد الشام ، فقد تراوحت مواقفهم بين التأييد والمعارضة لحركات التمرد

والعصيان والثورات التي قام بها بعض أمراء المماليك ضد سلاطينهم . وقد بني أمراء العرب موقفهم من تلك الحركات بما لا يتعارض مع مصالحهم ، ومدي وصولهم إلي منصب الإمرة ، وكان في مساندة أمراء العرب للأمراء الخارجين علي الدولة دلالة على قوة أمراء العرب ، واعتدادهم بأنفسهم ، ورغبتهم أحياناً في الاستقلال .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

* ابن الأثير : (عز الدين علي بن محمد ، ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) :
١- الكامل في التاريخ ، الطبعة الثالثة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٨م. * الأنطاكي : (يحيى بن سعيد ، ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٧م) :
٢- تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا ، حققه : عمر عبد السلام تدمري ، جروس برس ، طرابلس ، لبنان ١٩٩٠م.
* ابن إياس : (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ، ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م) :
٣- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٢ – ١٩٨٤م.
* ابن أيبك الدوادار:(أبو بكر عبد الله بن أيبك ، ت ٧٣٦هـ/١٣٣٥م) :
٤- كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ٨ ، الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية ، تحقيق : أولرخ هارمان ، المعهد الألماني للآثار، مطبعة عيسي البابي ، القاهرة ،١٣٩١هـ/١٩٧١م.
٥- جـ٩ ، الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، تحقيق : هانس روبرت رويمر ، المعهد الألماني للآثار ، سامي الخانجي ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .
* ابن بطوطة : (محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ، ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م):
٦- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، المشهورة برحلة ابن بطوطة ، تحقيق : علي المنتصر الكتاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
* البغدادي : (صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ، ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م) :
٧- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق : على محمد البجاوي ، الطبعة الأولي ، دار المعرفة ، بيروت١٩٥٤م.
* بيبرس المنصوري : (ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصوري ، ت

٧٢٥هـ/١٣٢٤م):

٨- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة جـ ٩ ، تحقيق : زبيدة محمد عطا ، طبعة عين للدراسات والبحوث الإنسانية ٢٠٠١م.

٩- مختار الأخبار ، تحقيق : عبد الحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، الطبعة الأولي ، ١٩٩٣م .

* ابن تغرى بردى:(جمال الدين أبو المحاسن يوسف ، ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) :

١٠- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ، تحقيق : كمال الدين عز الدين ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م .

١١- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق : محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ – ١٩٩٩م .

١٢- مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة ، تحقيق : نبيل محمد عبد العزيز ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٩٧م.

١٣- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة (د.ت) .

* ابن تيمية: (تقي الدين أبو العباس أحمد الحراني ، ت ٧٢٨هـ /١٣٢٨م):

١٤- فقه الجهاد، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

* الجزيري : (عبد القادر بن محمد الأنصاري ، ت ٩٧٧هـ/١٥٦٩م) :

١٥- الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، الطبعة الأولي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م.

* ابن حجر:(شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلاني ، ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م):

١٦- إنباء الغمر بأبناء العمر ، تحقيق حسن حبشي ، القاهرة

١٩٦٩ – ١٩٧٢م.

١٧- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ضبطه : الشيخ عبد الوارث محمد علي ، الطبعة الأولي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧م.

* ابن حوقل : (أبو القاسم محمد بن علي الموصلي ، ت ٣٨٠هـ / ١٤٠٥م) :

١٨- كتاب صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

* ابن خلدون : (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) :

١٩- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تحقيق : خليل شحادة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م .

* ابن خلكان : (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ، ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) :

٢٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٠٠م.

* الذهبي: (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):

٢١- سير أعلام النبلاء ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

٢٢- العبر في خبر من غبر ، تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د . ت).

* الروذراوري : (أبو شجاع محمد بن الحسين ، ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) :

٢٣- ذيل تجارب الأمم ، تحقيق : هـ . أمدروز ، مطبعة شركة التمدن الصناعية ، القاهرة ، ١٣٣٥هـ/١٩١٦م .

* السخاوى : (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) :

٢٤- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، الطبعة الأولي ، الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

* ابن شاهين:(غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري، ت ٨٩٣هـ/١٤٨٧م):

٢٥ – زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، وضع حواشيه خليل المنصور، الطبعة الأولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧ م.

* ابن شداد:(عز الدين محمد بن على بن إبراهيم ، ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م) :

٢٦- تاريخ الملك الظاهر ، نشر باعتناء أحمد حطيط ، فرانز شتايز، بفيسبادن ألمانيا ، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م .

* الصفدي: (صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) :

٢٧ – أعيان العصر وأعوان النصر ، حققه : على أبو زيد ، وآخرون، الطبعة الأولي، دار الفكر، دمشق ، ١٩٩٨م .

٢٨ – الوافي بالوفيات ، تحقيق مجموعة من المستشرقين والباحثين العرب، طبعة جمعية المستشرقين الألمانية، مطابع دار صادر، بيروت،١٩٨٢–١٩٨٤ م .

* ابن طولون: (شمس الدين محمد بن علي ، ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م) :

٢٩- إعلام الوري بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق : محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م .

* ابن عبد الظاهر: (محيى الدين بن عبد الظاهر، ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م):

٣٠- تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، حققه : مراد كامل ، الطبعة الأولي ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م .

٣١- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، نشره عبد العزيز الخويطر ، الطبعة الأولي ، الرياض ، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م .

* ابن العبري : (غريغوريوس أبي الفرج بن أهرون الملطي ، ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) :

٣٢- تاريخ مختصر الدول ، نشر الأب انطون صالحاني اليسوعى ، بيروت ١٩٥٨م.

* ابن العديم : (كمال الدين عمر، ت٦٦٠هـ/ ١٢٦٥م) :

٣٣- زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق : سامي الدهان ، منشورات المعهد الفرنسي ، دمشق ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

* العيني : (بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى ، ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) :

٣٤- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (عصر سلاطين المماليك) ، أربعة أجزاء تحقيق : محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ، ١٩٨٧ – ١٩٩٢م.

* الفاسي : (تقي الدين محمد بن أحمد الحسين ، ت ٨٣٢هـ/١٤٢٩م) :

٣٥- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، الطبعة الأولي ، دار الكتاب العربي ، ١٩٨٥م.

* أبو الفدا : (عماد الدين إسماعيل بن محمد صاحب حماة ، ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) :

٣٦- المختصر في تاريخ البشر، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د . ت).

* ابن الفرات:(ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ، ت ٨٠٧ هـ/١٤٠٥م) :

٣٧- تاريخ الدول والملوك ، تحقيق : قسطنطين رزيق ، ونجلاء عز الدين ، منشورات الجامعة الأمريكية ، بيروت ، ١٩٣٦ – ١٩٤٢م .

* ابن فضل الله العمري : (شهاب الدين أحمد بن يحيي ، ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م):

٣٨- التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م .

٣٩- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق : كامل سليمان

الجبوري ، الطبعة الأولي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٠م .

* ابن قاضى شهبة : (تقي الدين أبو بكر بن أحمد الأسدي ، ت٨٥١هـ/١٤٤٨م):

٤٠- تاريخ ابن قاضى شهبة ، حققه : عدنان درويش ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، ١٩٩٤م .

* ابن القلانسي : (حمزة بن أسد بن علي بن محمد أبو يعلي ، ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) :

٤١- تاريخ دمشق (٣٦٠ – ٥٥٥هـ) تحقيق : سهيل زكار، الطبعة الأولي ، دار حسان ، دمشق ، ١٩٨٣م .

٤٢- ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ، ١٩٠٨م

* القلقشندي:(شهاب الدين أبو العباس أحمد بن على ، ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)

٤٣- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، الطبعة الأولي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

٤٤- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، حققه وقدم له ووضع فهارسه: إبراهيم الإبياري ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٢م

٤٥- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان (د . ت).

* ابن كثير : (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ، ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) :

٤٦- البداية والنهاية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

* المسبحي : (محمد بن عبد الله بن أحمد ، ت ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م) :

٤٧- أخبار مصر ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، القسم التاريخي ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة (د . ت) .

* مفضل بن أبى الفضائل : (ت ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م) :

٤٨- النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ، بلوشيه ، باريس ،١٩١١- ١٩٣٠م .

* المقدسي: (أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري ، ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) :

٤٩- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق : محمد مخزوم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

* المقريزي : (تقي الدين على بن أحمد ، ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) :

٥٠- اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م

٥١- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، بغداد ١٩٥٥م .

٥٢ – السلوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء الأول والثاني في (٦ أقسام) تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٣٤ – ١٩٥٨م .

- الجزء الثالث والرابع في (٦ أقسام) تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٧٠ – ١٩٧٣م .

٥٣ – المقفى الكبير ، تحقيق : محمد اليعلاوى ، الطبعة الأولي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩١م .

٥٤ – المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف بالخطط المقريزية ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة (د.ت).

* ابن منظور: (جمال الدين محمد بن مكرم ، ت ٧١١هـ/١٣١١م) :

٥٥ – لسان العرب ، الطبعة الثالثة ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

* ابن ناصر الدين : (محمد بن عبد الله بن محمد بن مجاهد ، ت ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م) :

٥٦- توضيح المشتبه في ضبط اسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي ، الطبعة الأولي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٣م.

* ابن ناظر الجيش : (تقي الدين عبد الرحمن بن محب الدين ، ت ٧٨٦هـ / ١٣٤٨م) :

٥٧- كتاب تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق رودلف فسلي ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

* النويري:(شهاب الدين بن عبد الوهاب ، ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) :

٥٨ – نهاية الأرب في فنون الأدب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٢٣ – ١٩٩٤م.

* الهمذاني : (رشيد الدين فضل الله الهمذاني ، ت ٧١٨هـ/١٣١٨م) :

٥٩- جامع التواريخ ، نقله من الفارسية إلى العربية : محمد صادق نشأت ، ومحمد موسى هنداوى ، وفؤاد عبد المعطى الصياد ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى ، القاهرة (د.ت) .

* ابن الوردي: (زين الدين عمر بن مظفر المعري ، ت ٧٥٠هـ / ١٣٥٨م):

٦٠- تتمة المختصر في أخبار البشر ، تحقيق : أحمد رفعت البدراوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م .

* ياقوت:(شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي ، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

٦١ – معجم البلدان، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت ١٩٩٥م.

* اليوسفي : (موسي بن محمد بن يحيي ، ت ٧٥٩هـ / ١٣٥٨م) :

٦٢- نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر ، تحقيق : أحمد حطيط ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .

* اليونيني : (قطب الدين موسي بن محمد بن أحمد، ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م):
٦٣- ذيل مرآة الزمان، الطبعة الثانية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢م .

ثانياً : المراجع العربية :

* أحمد فكرى :
١- مساجد القاهرة ومدارسها ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩م
* أحمد مختار العبادي :
٢- قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ، دار النهضة ، بيروت، (د . ت).
* أحمد وصفي زكريا :
٣- عشائر الشام ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
* أكرم حسن علي العلبي :
٤- دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين ، الشركة المتحدة للتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
* حسان حلاق ، عباس صباغ :
٥- المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية ، الطبعة الأولي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩م .
* سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) :
٦- العصر المماليكى في مصر والشام ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٤م.
* عباس العزاوي :
٧- تاريخ العراق بين احتلالين ، مطبعة بغداد ، ١٣٥٣هـ /١٩٣٥م
* علي السيد علي :
٨- القدس في العصر المملوكي ، الطبعة الأولي ، دار الفكر

للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

* علي محمد محمد الصلابي :

٩- دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، الطبعة الأولي ، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

* محمد قنديل البقلي (دكتور):

١٠- التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، طبعة مصورة من طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة الذخائر (١٤٤) القاهرة ، ٢٠٠٤م .

* محمد كرد علي :

١١- خطط الشام ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٩م .

* مصطفي علي مصطفي الحياري :

١٢- الإمارة الطائية في بلاد الشام في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين ،الجامعة الأمريكية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٩م.

* مصطفي مراد الدباغ :

١٣- القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين ، المؤسسة العربية ، بيروت ، ١٤.٦هـ / ١٩٨٦م.

ثالثاً : المراجع المترجمة :

* إيرامارفين لابيدوس :

١- مدن الشام في العصر المملوكي ، ترجمة سهيل زكار ، دار حسان للطباعة والنشر ، دمشق ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

* ستيفن رنسيمان :

٢- تاريخ الحروب الصليبية ، نقله إلى العربية د/ السيد الباز العريني ، دار الثقافة، بيروت ، لبنان ١٩٩٧م.

رابعاً : الابحاث والرسائل العلمية :

* محمد صبحي الشناق :

١- أعراب بلاد الشام في عهد المماليك ، رسالة دكتوراه ، جامعة القديس يوسف ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، معهد الآداب الشرقية ، بيروت ، ٢٠٠٠م .

* محمود زايد :

٢- رحلة برترا ندون دي لابردكير إلى فلسطين ولبنان وسوريا ، مجلة الأبحاث ، السنة ١٥ ، ج٣ ، (ص٢٩٩ – ٣٣٥) الجامعة الأمريكية ، بيروت ١٣٨٢هـ – ١٩٦٢م .